الفصل الثالث

- المملكة العربية السعودية .
- جذورها ..... نشأتها .
- الأمن ..... وإرساء قواعد الحكم .
- تنظيم جهاز الدولة .

الدولة الإسلامية النموذج ..... الحي

هـــي مهـــبط الوحـــي وحاملة الرسالة وحماة أشرف البقاع على وجه البسيطة بيت الله الحرام ومثوى رسوله ﷺ خير الأنام . هذه الدولة التي قامت علـــى أساس ديني ولم تقم على عصبية قبلية وعلى حمية . جديرة بأن تذكر نشـــأتها وجـــذور حكمها على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وعلى المبادئ والمـــثل الـــذي تركنا عليها الرسول ﷺ حيث يقول : ((**تركتم على المحجة البيضـــاء لـــيلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**))[1] . ويقول ﷺ : ((**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه**))[2] .

وهـــا نحـــن الـــيوم نـــنعم بهذه النعمة العظيمة نعمة تطبيق الشريعة الإســـلامية وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . هذه الدولة العربية الإسلامية التي تتمسك بتعاليم الشرع الحنيف في كل أمورها الدينية والدنيوية في زمان تتكالب قوى الشرك والبغي على ديننا وتعاليمه .

---

(١) سنن ابن ماجه ، باب إتباع سنن الخلفاء الراشدين ، جـــ١ ص٥ .

(٢) الموطأ لإمام مالك ، كتاب الجامع ، رقم جـــ١٦٦١ .

وها نحن نتفيأ هذه الظلال الوارفة بفضل الله تعالى ثم بفضل ما قامت بـــه هـــذه الأسرة ممثلة في والدهم الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى وطيب ثراه ، وما قام به أبناؤه في ترسم خطاه والسير على نهجه ، ونأمل من الله أن يمدهم بعونه وتوفيقه .

جذور الحكم السعودي والأسس التي قام عليها

كان جد آل سعود « مانع المريدي » انتقل بأسرته في عام « ٨٥٠هـ » من شرق الجزيرة العربية إلى العارض حيث منحه قريبه بن درع المكان الذي قامت عليه بلدة « الدرعية » التي كانت عاصمة الدولة السعودية في دورها الأول . وكانت تلك الأسرة ضعيفة في بداية أمرها ثم قويت ووسعت أملاكها . على أنه حدث بين أفرادها خلال تاريخها ما كان يحدث من صراعات على السلطة في كل زمان ومكان . وكان من نتائج ذلك الصراع أن انتزعت منهم إمارة البلاد فترة قصيرة ، لكن الإمارة عادت إلى أصحابها .

وكان ممن تولاها بحزم « سعود بن محمد بن مقرن » الذي توفي عام « ١١٣٧هـ » . وبعد وفاته ولي الإمارة « زيد بن مرخان » . وتولاه بعده « محمد بن سعود » الذي ظل أميرًا للدرعية حتى قام بمناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الإصلاحية . وانتقلت الإمارة إلى مرحلة تاريخية جديدة غيرت مجرى الأحداث في المنطقة كلها .

لقد رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي أن الدرعية هي المكان المناسب له ولدعوته ، وذلك لأن كثيرًا من وجهائها كانوا متحمسين للدعوة . بالإضافة إلى ذلك فقد كانت إمارة الدرعية مستقرة ذات قوة جيدة في عهد أميرها محمد بن سعود . ولذلك انتقل الشيخ إلى الدرعية

عـــام « ١١٥٧هـــ » . وتعاهد مع أميرها على نشر الدعوة والوقوف ضد من يعترض سبيل الحق . وهكذا بدأ الحكم السعودي أو ما سمي بالدولة السعودية الأولـــى . وكذلـــك مســـاعي قادته بالنجاح في توحيد البلاد وبسط الأمن في ربوعها .

وإن كان الحكم السعودي قد بدأ حقيقة بمناصرة دعوة الشيخ محمد بن عـــبد الوهـــاب بن سليمان الإصلاحية التي تهدف إلى : « إفراد الله بالعبادة ، ومحاربـــة الشـــرك بجميع أنواعه ، وسد الذرائع المؤدية إليه » . ومن أبرز أهدافها : «محاربة البدع في الدين ، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمور الحياة » . وذلك في ظل دولة قادرة على تحقيق تلك الأهداف .

وهكـــذا يتضح أن الحكم السعودي قام على أساس « ديني » ، ولم يقم على عصبية «قبلية » ، ولا على « حمية » مرتبطة ببلدة معينة . وبما أن الدين أســـاس يلتقـــي فيه كل مسلم ، فإن الحكم القائم عليه أقرب إلى اجتذاب أغلب الـــناس مـــن أي حكـــم قائم على أسس أخرى . وهكذا توحدت معظم مناطق الجزيـــرة العربـــية في دولة لم يُرَ لها مثيل من قبل باستثناء فترة قصيرة من فجر التاريخ الإسلامي[1] .

---

(١) المعـــارك الحاســـمة فـــي تـــاريخ الملك عبد العزيز ، أعدته لجنة مختارة من وزارة الدفاع والطيران بالمملكة العربية السعودية ، ص١٠ .

نشأة الدولة السعودية

ينتمـــي آل سعود إلى قبيلة عنزة من ربيعه أحد أولاد نزار . وعنزة ترجع إلى وائل بن ربيعه وهم في اصطلاح اليوم أبر قبائل العرب كما يقال : قـــوم دون عـــنزة ، مثل مشهور رمز للقوة والشهرة ، وعنزة قبيلة معروف رجالهـــا في ركض الخيل والفراسة ، وليس في أرض نجد أحد يقاومها[1] . وكانـــت منازل آل ربيعة بن نزار ، ومنهم بنو وائل في « حجر » من وادي اليمامة قرب الدرعية وما حولها من بلدة « حريملاء » . كما قطن آل ربيعة : « هجـــر ، والقطـــيف ، وحجر اليمامة » وما جاور هذه الديار . وكان الأمير مانع المسيب ولقبه « المريدي » جد آل مقرن بن مرخان يقطن بلدة « الدروع » مـــن أعمـــال القطيف . ويربطه بابن درع رئيس حجر اليمامة صلة نسب ، فجمعـــت هـــذه الصـــلة بينهما وأسفرت عن دعوة الأمير مانع من القطيف ، واقطعـــه من أملاكه أرض « المليبيد ، وعضبه » قرب الدرعية ، فاستقر فيها مع صحبه وآله في سنة « ٨٥٠هـــ » .

ولمـــا توفي الأمير مانع تولى بعده ابنه ربيعة زمام الإمارة ، وحصل على شهرة بالغة في تلك الأصقاع وكثر أنصاره في كل مكان . ثم تولى زمام الولايـــة بعـــده ابـــنه موســـى بن ربيعة وتزعم عشيرته ، وتولى بعده ولده إبراهـــيم ، فأنجـــب عدة أولاد أحدهم «مرخان » وتعاقب أولاده على استلام الولايـــة . وكان أكبرهم وأشدهم مراسًا وعدلاً الأمير « مقرن » جد آل سعود الأكـــبر فانـــتهى الحكـــم إلـــيه ، واختار الدرعية عاصمة له وذلك في سنة

---

(١) كنز الأنساب ومجمع الآداب ، حمد بن إبراهيم الحقيل ، ص٦٦ .

« ١١٠٠هـــ » . وبقي الحكم في عقب الأمير مقرن بن مرخان من بعده إلى أن أصبح الأمير سعود بن محمد بن مقرن أميرًا على الدرعية[١] .

إن المؤســس لملك « آل سعود » هو الأمير سعود الأول بن محمد بن مقرن ، ومن عقبه الأمراء والملوك السعوديون بحسب تفرعاتهم وهم :

الأول : سعود « الأول » بن محمد بن مقرن والذي تنتسب إليه الأسرة المالكة السعودية .

الثانـي : محمـد بن سعود وهو أول حاكم سعودي خرج بالحكم من نظامـه القبلي إلى حكم إسلامي صحيح بعد أن كان الحكم قائمًا على الهوى والجهل والسيف ، صار حكمًا أساسه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد تم ذلك في عهده وذلك بفضل الله ثم بفضله ثم بفضل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الذي عرف نظام حكمه وعدله ، وما كان عليه الأمير من الأخلاق الكريمة والعطف على الناس فقصده الناس ووجدوا عنده الأمن والحرية والعدل .وكان من قصده الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سـليمان الذي غادر العيينة في ظروف صعبة ، ورأى أن الدرعية دار آمنة يجد فيها الأمن على نفسه وعلى الدعوة التي يقوم بها .

وقـد تحقـق ما كان يرجوه من الأمير محمد بن سعود في أن يحمي الداعي والدعوة وينصره . وتعاهدا معاهدة إسلامية على توحيد الكلمة ونصرة الدين ، وقمع الباطل ، وحرب الباغي والمبتدع والضال ما استطاعا . ومن ثم

---

(١) المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، صلاح الدين مختار ، ص ٢٩ – ٣١ .

أخـــذا في تطهير الداخل من المبتدعين وإرشاد الناس إلى الهدى ، واستطاع الاثنان تكوين قوة واجتمع بعض زعماء القبائل حولهما .

وفي عهده قويت الإمارة واستقامت أمورها ، ونفذ شرع الله الذي أدى إلى حياة فاضلة كريمة . وقد تم ذلك بفضل الله ثم بفضل الدعوة الجدية التي أخلص لها الحاكم السعودي وحماها ونشرها بكل قوته ومواهبه ، فنصره الله . وعـــاد الإسلام بفضل الله دينًا ودولة ، وعرف محمد بن سعود بالإمام ليتفق لقبه مع الدعوة الإسلامية[1] .

والحديـــث عـــن أوضـــاع البلاد قبل الحكم السعودي يتطلب عرضًا مقتضـــبًا لأوضاع كل منطقة من مناطقها قبل الحكم السعودي ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية . ويتلخص في التالي :

أولاً : منطقة نجد :

أمـــا نجـــد فقد قامت فيها دول « الأخيضرية » في النصف الثاني من القـــرن الثالث الهجري ، واستمرت حوالي قرنين من الزمن . وكان زعماء تلـــك الدولة يتبعون المذهب الزيدي ، وبعد زوالهم أصبحت نجد مفككة ، كل بلـــدة لها إمارتها المستقلة المعادية في كثير من الأحيان لجارتها . وكان هذا الـــتفكك مـــن أسباب ضعفها وامتداد نفوذ « آل أجود » على بعض أجزائها ، ونفـــوذ « الأشراف » على بعض أجزائها الأخرى . ولما ضعف مركز الدولة العثمانـــية فـــي جزيرة العرب بصفة عامة ، وانتزاع «بنو خالد » منهم حكم

---

(١) صقر الجزيرة العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـــ١ ص١٥٩ ١٧٠ .

المنطقة الشرقية ، أصبح الزعماء الخالدون ينافسون أشراف الحجاز في نجد . على أن نفوذ كل من الأشراف وبني خالد لم يكن من القوة بحيث يفرض الأمن أو يمنع تحارب البلدان والقبائل النجدية . وكان المذهب الحنبلي هو المذهب السائد بين علماء نجد منذ زوال الدولة الأخيضرية . وقد انتشر في نجد حينذاك ما انتشر في غيرها من بلدان العالم الإسلامي من خرافات وبدع[1] .

كان عصر الإمام بالنسبة لنجد عصرًا جاهليًا ، فما أهل القرن الثاني عشر للهجرة على نجد إلا وهي غارقة في الجاهلية . وانقلبت مرسمًا تمثل عليه أدوار الهمجية ، حيث إراقة الدماء وقتل النفوس بغير الحق ، وحيث التناحر والجمود والفساد في كل شيء . ومرد هذا كله إلى فساد الدين ، فلو صلح دينهم لصلحت أمور دنياهم . وانزوى الدين في بقاع صغيرة ، وهي صدور العلماء الذين يفهمون الدين الصحيح ويعتنقونه . أما السواد الأعظم فلم يفهم الدين إلا ما يزينه له هواه من الشرك والوثنية ، وانقلب الإسلام مجموعة من الوثنيات والبدع والخرافات . فصرف من العبادات ما كان لله وحده لغيره ، وأشرك مع الله سواه . يدعو الأوثان ويستغيث بها ويستعينها ، وينحر على الأحجار والصخور والأشجار ، إذ يعتقد فيها القدرة على النفع والضرر .

---

(١) الإستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ، للمؤلف ، ص١٨٥ – ١٨٦ .
المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، صلاح الدين مختار ، ص٢٦ – ٣٥ .
المعارك الحاسمة في تاريخ الملك عبد العزيز العسكري ، إعداد مجموعة من ضباط القوات المسلحة بالاشتراك مع د/عبد الله بن صالح العثيمين ، ص٦ .

وتـــاريخ ابن غنام المسمى « روض الأفكار والأفهام » حفل بذكر هذا الفساد ، وبخاصة فساد الحياة الدينية . فيقول في تاريخه : كان الناس في نجد والأحساء وغيرهما في بلدان الجزيرة غارقين في الشرك يتبعون ما زينت لهم الأهواء والشياطين . وينهاهم ولم يعبأوا بالدين الصحيح ، بل تنكروا له . لأنه يأمـــرهم بالمعـــروف وينهاهم عن المنكر ، وهم لا يريدون ذلك ، فعدلوا عن عـــبادة الله إلى عبادة غيره . فاستغاثوا بخلقه في النوازل والخطوب ، وطلبوا منهم الرزق وكشف الضر وجلب النفع ، واعتصموا لهم دون الله عز وجل . واعـــتقدوا فـــي الأحجـــار والأشجار ، وأنها تضر وتنفع ، وعادوا إلى حياة الجاهلية في المعتقد . ولم يعد الإسلام إلا اسمًا ، أما مسماه فقد قضوا عليه . وكـــل شيء كان قد فسد بفساد الحياة الدينية ، فلا دين يمنع من الباطل ، ولا ضمير يهدي إلى الرشد .

أمـــا الحـــياة السياسية فكانت أشد فسادًا ، لأن الحكم الإسلامي كان قد زال بـــزوال الديـــن وحلول الوثنية ، وصار الحكم عشائريًا لا يتوخى الحق والعـــدل . فالحـــاكم القـــوي يعتدي على من هو أضعف منه ويحاربه ، هذا مهـــاجم ، وذلـــك مدافـــع . وهذا ثائر يطلب ثأره ، وذلك قاطع طريق يرجو مغنمًا ، وليس ثمة حاكم يقضي بين الناس بالعدل ، وينشر الأمن والطمأنينة ، ويعاقب الجاني .

ففـــي « الدرعـــية » حاكم مستقل من آل سعود ، وهي أكثر بلدان نجد عمـــرانًا ، وأهلهـــا أشد الناس شكيمة ، وأميرها راجح الأمراء عقلاً وأعدلهم حكمًـــا . وفي « العيينة » حاكم مستقل من « آل معمر » ولكنه لم يكن كالأمير الســـعودي فـــي قدرتـــه ومكانـــته ، ومـــع ذلـــك كان أميرًا عادلاً صالحًا .

وفـــي « الـــرياض » دهـــام بن دواس الظالم الغشوم الذي لا مبدأ له ، يستبيح المحرمات ، ويحل ما حرم الله .

وتبعث الحياة الاقتصادية والسياسية الفساد في الدين ، فإذا ساء المعتقد وســـاد الظلـــم ســـاءت الأخلاق . والنواحي العلمية تبعث النواحي الأخرى ، والعلماء الصالحون مضطهدون ، ومن كان منهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر محاربين . ومع كل ذلك فإن الله أراد خيرًا بالعلم ، فحفظه وحفظ بعض العلماء ، فكانوا النور الذي يهدي إذا اشتد الظلام ، ولكن لم يكونوا إلا آحادًا وكانوا قانعين بالعلم دون الدعوة .

وجملة القول : أن نجدًا قد ساءت أحوالها كلها في القرن الثاني عشر ، حـــتى قيض الله لها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ، فأخـــرجها بفضـــل الله ورحمته من الظلمات إلى النور . وأعاد إليها الإسلام الحـــق الذي نقل نجدًا من الشرك إلى التوحيد ومن التأخر إلى التقدم ، ودفع بالإنسان إلى الحياة الكريمة الفاضلة[1] .

ثانيًا : منطقة الحجاز :

كانـــت تحـــت حكم الأشراف منذ أوائل القرن الثالث الهجري أي عام « ٣٣٤هـــ » تقريبًا . وكان ولاء حكومة الأشراف يتذبذب بين دولة إسلامية وأخـــرى حســـب قوة الدولة المحيطة بهم وضعفها . لكنهم في أغلب فترات تـــاريخهم تـــابعون للدولـــة التي اتخذت من مصر مركزًا لها . وكانت فيها

---

(١) صقر الجزيرة ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـــ١ ص٣١ – ٤٠ .

إمارتـــان إمـــارة « مكة المكرمة » لحسنيين من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب ، وإمارة « المدينة المنورة » لحسينين من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان من يدعي له من الخلفاء على منابرها سواء الخلفاء العباسيون أو الفاطميون يعد نفسه خليفة المسلمين قاطبة .

وأول أســـرة حســـنية حكمـــت مكـــة المكرمة هي أسرة بني سليمان أو بنـــي موســـى ، في عام « ٣٧٠هـــ » أذعن الحسنيون للعزيز الفاطمي ، وظلـــت الخطـــبة تقـــام باسم الفاطميين مدة متطاولة . حتى تولى أبو الفتوح الحســـن بن جعفر سنة « ٣٨٤هـــ »وهو أهم أمراء الأسرة ، وقد حاول إتباع الحاكم بأمر الله الفاطمي أن يحملوه أن يقرأ سجلاً في المسجد الحرام بالبراء مـــن أبـــي بكر وعمر رضي الله عنهما وسب بعض الصحابة وبعض أزواج رســـول الله ﷺ ، فـــرفض ذلـــك وقطع صلته بمصر . وخلفه في الحكم ابنه شـــكر ، وأضـــاف إليها المدينة المنورة كان يجمع فيها بين الحرمين إلى أن توفـــي ســـنة « ٤٥٣هـــ »، وانقرضت سلالته . غير أن فرعًا من الأسرة الحســـينية مـــن بني هاشم ، وهو محمد بن جعفر قد تولى أمر مكة بمساعدة المصـــيلحي أمـــير اليمن سنة « ٤٥٤هـــ » . ويقول المؤرخون أنه كان تارة يجعـــل الخطـــبة فـــي الموســـم باســـم الخلفاء الفاطميين وتارة باسم الخلفاء العباســـيين ، تبعًا لما كان يغدق عليه من أموال وفيرة من بغداد أو القاهرة . واســـتطاع أن يجمع في ظل حكمه الحرمين ، وبذلك اجتمع له الحجاز . ولي بعده ابنه القاسم وخلفه ابنه عيسى سنة « ٥٥٦هـــ » ، وفي عهده انتهت الدولة الفاطمـــية وحكـــم مصر صلاح الدين الأيوبي واستولى على الحجاز ، ويظل أبناء عيسى يلون مكة .

تولى قتادة إمارة الحجاز وكان يخطب للسلطان العادل بن أيوب ولابنه الكامل سلطان مصر ، وخلفه ابنه الحسن سنة « ٦١٧هـ » ، ووليها راجح بن قتادة ، وظلت تنتقل بينه وبين أخيه ثم ابنه راجح . وفي كل هذه الفترة أمراء مكة يولون من قبل العباسيين حتى انقراض دولتهم سنة « ٦٥٦هـ » . وكانت مصر بعد ذلك في عهد السلاطين المماليك هي التي توليهم . ومن أهم أمراء الأسرة أبو نمي الأول سنة « ٦٥٢هـ » وثبته عليها السلطان الظاهر بيبرس ، وظل يلي شئونها خمسين عامًا ، ويخلفه سنة « ٧٠١هـ » ولداه : « رميثه ، وعطفيه » ، وأخيرًا خلص الأمر لعجلان وكان يحب أهل السنة وينصرهم على الشيعة الزيدية وغيرهم . وتولى بعده إخوانه أحمد ، وعلي ، ومغامس ، والحسن حتى تولاها بعده بركات ، ويخلفه ابنه محمد حتى سنة « ٩٠٣هـ » فتصير لابنه بركات . ثم لابنه أبو نمي الثاني الذي سافر إلى مصر عقب استيلاء السلطان العثماني سليم الأول عليها سنة « ٩٢٢هـ » ليعلن تسليم الحرمين الشريفين له .

وكانت إمارة مكة المكرمة في العهد العثماني تتبع ولاية مصر والخلافة العثمانية ، ووليتها ثلاث أسر من أبناء نمي : أسرة بركات ، ثم أسرة زيد ، ثم أسرة عون . وظلت الولاية في الأسرة الأولى أكثر من مائة عام ، ثم نافستها أسرة زيد في القرن الحادي عشر وظلت الإمارة تنتقل من بركاتي إلى زيدي حتى استقل بها بنو زيد ، وظلوا يلونها إلى زمن فتح محمد

علـــي للحجـــاز فـــي عام « ١٢٢٧هـــ » . وما زالت الإمارة في أبنائه حتى استخلصها سعود الثاني بن عبد العزيز الملقب بالكبير[١] .

وكانت إمارة المدينة المنورة الرياسة فيها لبني المهنا أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، وظلت الإمارة في أيديهم إلا فترات قليلة تتبع إمارة مكة المكـــرمة . ويقال إن مسلمًا بن الحسن في عام « ٣٢٩هـــ » كان يدعو للمعز صـــاحب إفريقـــية ، وكان الفاطميون يولون أبناءها على المدينة ، واحدًا تلو الآخـــر ، ومـــن أهمهم منظور بن عمار المتوفى سنة « ٤٩٥هـــ » . وتنتهي الدولـــة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي ، ويبقى على بني مهنا أمراء للمديـــنة وكانوا يتولون إمارتها في العهد الأيوبي من قبل الخلفاء العباسيين . وكان من أشهرهم « أبو فليته » الذي حضر مع صلاح الدين فتح أنطاكية سنة « ٥٨٤هـــ » . يكثر القتل بين أفراد هذه الأسرة وما يكاد يتولاها شخص منهم حـــتى يـــنقض عليه آخر . وفي سنة « ٩٠١هـــ » تتدهور الإمارة وتدخل مع الحجاز في الحكم للدولة العثمانية ، وتظل لهذا البيت عليها إمارة اسمية[٢] .

وكـــان لوجـــود الحرمين الشريفين في الحجاز أثره الكبير في الحياة العلمـــية ، ذلـــك أن بعـــض العلمـــاء من الأقطار الإسلامية المختلفة كانوا يـــتجاورون فـــي مكـــة المكرمة والمدينة النبوية المنورة . وكثيرًا ما قاموا بالتدريس والتأليف . لكن وجود أولئك العلماء في المدينتين المقدستين لم يحل

---

(١) سمط النجوم العوالي ، عبد الملك العصامي المكي ، جـ٤ ص١٩٩ – ٢٧٠ . عصر الدول والإمارات ، د/شوقي ضيف ، ص١١ – ١٦ .

(٢) صقر الجزيرة ، أحمد عبد الغفور عطار جـ١ ، ص٣١ – ٤٠ .

دون انتشار كثير من البدع والخرافات التي كانت منتشرة في كثير من البلدان الإسلامية .

ثالثًا : المنطقة الشرقية :

كـــان شـــرقي البلاد والمشتمل على إقليمي الإحساء و القطيف مركز دولـــة « القـــرامطة » التي بدأت في أواخر القرن الثالث الهجري وانتهت في النصف الثاني من القرن الخامس . وكانت نهايتها على يد « عبد الله العيوني » الذي أقام دولة استمرت حتى منتصف القرن السابع الهجري تقريبًا . ثم تولى حكـــم تلك المنطقة أسر أشهرها « آل أجود » . وكان أعظم رجالات آل أجود أجـــود بـــن زامـــل ، الذي مد نفوذه إلى أجزاء من عمان ونجد . وفي عام « ٩٦٠هـــ » دخلت المنطقة تحت حكم العثمانيين ، وظلت تحت حكمهم حتى اســـتقل بها « آل حميد »زعماء بني خالد عام « ١٠٨٠هـــ » . وكان المذهب الجعفـــري الشـــيعي يوجد فيها جنبًا إلى جنب بصفة عامة ، منذ القضاء على دولـــة القرامطة . وكانت توجد فيها حركة علمية جيدة . لكن كان يوجد فيها كمـــا يوجـــد فـــي غيرها من بدع وخرافات ومن جهل بأمور الدين وإهمال لواجباته من قبل فئات القبائل الرحل .

رابعًا : بقية مناطق المملكة :

كـــان نفـــوذ أشراف الحجاز قد امتد إلى القنفذة جنوبًا ، وشمالاً شمل بعـــض المدن ، ومن الراجح أن نفوذهم في هذه الجهات لم يكن سوى تحالف بعـــض القبائل معهم . ولم تكن الحياة العلمية جيدة ، ولذلك لم يكن غريبًا أن

يوجـــد فيها ما كان يوجد في كثير من المجتمعات الإسلامية حينذاك من جهل بأمور الدين ، وإهمال لواجباته ، وانتشار للبدع والخرافات .

أمـــا المخلاف السليماني أو إقليم جازان ، فقد كان إمارات متعددة منذ نهايـــة القـــرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الثاني عشر عند ما نجح الشريف أحمد بن محمد في توحيده تحت قيادته . وكانت الحياة العلمية فيه لا بـــأس بهـــا . إلا أن الخـــرافات والبدع منتشرة بها كما كان منتشرًا في بلاد إسلامية أخرى .

وأمـــا نجـــران فكـــان أكـــثر ســـكانه من قبائل يام ، وكان المذهب الإسماعيلي هو المذهب المتبع غالبًا لدى سادة نجران . أما القبائل الرحل في ذلـــك الإقليم ، فكان وضعها مشابهًا لأوضاع القبائل الرحل الأخرى في كثير من أقاليم الجزيرة العربية من حيث غلبة الجهل بأمور الدين وإهمال واجباته .

وهكـــذا يتبين أن أوضاع المناطق المختلفة من البلاد كانت في حاجة إلى إصلاح ديني وسياسي . وكانت نجد بالذات منطقة مناسبة لتكوين المركز الـــذي مـــنه ذلـــك الإصلاح . وذلك لكونها بعيدة نسبيًا عن متناول السلطات العثمانية مما يتيح لأي نشاط إصلاحي أن يثبت أقدامه وينمو بعيدًا عن التدخل الخارجـــي . ولقـــد تحقق ما كان متوقعًا ، فقامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهـــاب بن سليمان بن علي الإصلاحية التي ناصرها « آل سعود » ، فكانت خيرًا وبركة لسكان البلاد خاصة وللمسلمين عامة .

أمـــا عـــن اليقظة والتجديد في الفكر الإسلامي فإن الله عز وجل أراد للمسلمين العزة فقيض لهم رجالاً ظهروا في شتى الأقطار الإسلامية ، جددوا

لهـذه الأمـة أمر دينها . ففي مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ظهر الشيخ محمـد بن عبد الوهاب في نجد بين عامي « ١٧٠٣م و ١٧٩١م » ، فدعا إلى التوحـيد المطلـق ومـنع التوسل بغير أسماء الله وصفاته ونادى بفتح باب الاجتهاد .

وفـي الهند ظهر الشيخ «ولي الله الدهلوي » ما بين عام « ١٧٠٢م » وعـام « ١٧٦٢م » ، واشـتهر بالدعوة إلى عقيدة السلف ، فكان من مؤلفاته « الجزء اللطيف » .

وفي اليمن ظهر الشيخ «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأمير » الذي نشـر السنة في اليمن ، فكان عالمًا مجددًا مجتهدًا ، ومن أشهر مؤلفاته «سبل السـلام » . كمـا كان شاعرًا مجيدًا ، وله قصيدة معروفة يؤيد فيها ويناصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومطلعها :

سـلام على نجد ومن حلّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجد

وإذا كان الأمير مجددًا وشاعرًا إلا أنه سلم الراية من بعده إلى الإمام الشـهير «محمد علي الشوكاني » المولد عام « ١٧٥٨م » في شوكان اليمن ، ونشأ في صنعاء . وكان فقيهًا ومفسرًا ومحدثًا زادت مؤلفاته على المائة ومن أشهرها « التفسير وإرشاد الفحول ».

وفـي المدينة المنورة ظهر الشيخ « مظهر بن نوح القلاف » عاش ما بيـن عامي « ١٧٥٢ و ١٨٠٣م » . كما ظهر الشيخ « شهاب الدين الأولسي » بالعراق ما بين عامي « ١٨٠٢ و١٨٥٤م » . وبالمغرب ظهر « محمد بن علي السنوسـي » ، وبالسـودان ظهر «محمد بن أحمد المهدي » . لقد كانت هذه

الدعـــوات الـــتجديدية دعـــوات إصـــلاحية ، فكانت ظاهرة عامة في القرن الثامـــن عشـــر ظلـــت حتى منتصف القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من الاخـــتلاف الـــذي كان يبدو بين بعض هذه الدعوات إلا أنها اتسمت بالتجديد واتفقت على نبذ التقليد وفتح باب الاجتهاد[1] .

لا بـــد لأي باحـــث محـــايد وهو يستعرض جهود الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – في توحيد المملكة وتوطيد الأمن فيها . لا بد له أن يشير إلـــى الاتفاق التاريخي بين مجدد القرن الثاني عشر الهجري الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان رحمه الله تعالى ، وبين الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى الذي ابتدأ في عهده مجد الإمامة في البيت السعودي . وبعهده يؤرخ قيام الاتجاه السلفي النقي في عالمنا المعاصر بعد أن استفاضت أخبار التعدي والـــزيغ عن المنهج الإسلامي القويم . وصارت الجزيرة العربية ميداناً رحبًا لأعمال النهب والسلب والإغارة والعنف .

ويتفق المؤرخون المنصفون على أن ذلك الاتفاق التاريخي كان أخطر عمـــل تنظـــيري تحول إلى سلوك واقعي ، رافقته وقائع عسكرية . كان لها مداها الواسع ، لا في شبه الجزيرة العربية وحدها ، ولكن في أنحاء شتى من العالم الإسلامي . مما يؤكد الصلة بين شعوب الأمم الإسلامية الخالدة بأعمق مما يبدو عليه السطح الخارجي أو الشكل الظاهري للاتصال أو التواصل بين أجزاء هذه الأمة . ويكفي أن نشير إلى مضمون هذا الاتفاق العظيم لكي ندرك

---

(١) الإسلام ومقتضيات العصر ، د/أنور ماجد عشقي ص٢٥٩ – ٢٦١ .

شيئًا هامًا ، وهو أن أثار هذه الاتفاقية المباركة بين الإمام والشيخ ظلت تسري عبر العصور والأجيال بشروطها ونتائجها .

فعندما رحل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من بلدة العيينة بعد تنكر حاكمها له ، توجه إلى الدرعية باحثًا عن قوة سياسية لتدعيم دعوتـــه السلفية . وهناك استقبله حاكم الدرعية الإمام محمد بن سعود وأكرمه بمـــا يستحق من إكرام وأحسن استقباله قائلاً : (وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعـــباد ، وهـــي كلمة التوحيد ، وأول ما دعا إليه المرسلون من أولهم إلى آخـــرهم) . ورد عليه الإمام محمد بن سعود قائلاً : (يا شيخ ، إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه ، وأبشرك بالنصر لما دعوت إليه وبالجهاد لمن خالف التوحيد) .

وفـــي خـــتام هـــذا اللقـــاء التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمـــير محمد بن سعود ، تعاهد الرجلان المجاهدان على نصرة دين الله ، وإعـــلاء كلمة التوحيد ، وإعلاء شريعة الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكر . وهكذا يعتبر وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية وعقد اتفاقية مع الأمير محمد بن سعود بن مقرن مؤسس الدولة السعودية بحق هو يوم نشأة الدولة السعودية ، ويوم بروزها في التاريخ .

وتشـــير المراجع التاريخية إلى أنه لم يكن في نجد عند ظهور الدعوة حكومة مركزية ذات نظام وأوضاع ثابتة ، ترعى مصالح الناس وتسهر على

أمـــنهم وســـلامتهم ، وتقـــيم أحكام الشريعة الإسلامية فيهم . لقد كان شيوخ القبائل ، وأمراء المدن ، وحدهم المسيطرين ، وقد أرهقوا الناس بتصرفاتهم ، وفوضـــاتهم لا حـــدود لهـــا . وقـــد سئم العامة من أبناء نجد حالة الفوضى والاضـــطراب هـــذه . ولـــذا لم يترددوا في قبول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التي جاءت لإنقاذهم فأيدوها تحت قيادة آل سعود لنصرتها والدفـــاع عـــنها وحمايتها من أعداء الشريعة المحمدية . ويستنتج أنه كان في نجـــد يـــوم تحالف الإمام محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن ســـليمان بـــن علي الأمارات التالية : « إمارة آل سعود في الدرعية ، إمارة آل معمـــر فـــي العيينـــة ، إمارة آل دواس في الرياض ، إمارة آل خالد في الأحســـاء ، إمـــارة آل هذال في نجران ، إمارة آل علي في الشمال ، إمارة آل حجـــيلان فـــي القصـــيم » . وبجانـــب هذه الأمارات وجدت عدة إمارات وشـــيخات صغيرة في غرب نجد في «بيشة ، ووادي الدواسر » وكانت هذه الإمارات مضطربة وغير آمنة[1] .

وبـــتحالف الإمام محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن ســـليمان بن علي قامت في قلب الجزيرة العربية دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وبالقدوة الحسنة المتوارثة عن السلف الصالح . تأمـــر بالمعـــروف وتنهي عن المنكر ، تعيد ما كان عليه عهد رسول الله ﷺ وعهـــد الخلفاء الراشدين من سنن الحياة . ترعى ظروف الخلق في مجتمعه

---

(١) فـــي آفـــاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية ، د/سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ص٨ – ٩ . الأطلس التاريخي للدولة السعودية ، إبراهيم جمعة ص٣١ .

ظل تائها في فيافي الجزيرة العربية ردحًا من الزمن بلا هادي يهدي أو رادع يـــردع . شـــاعت فيها الفرقة وعمت الفوضى وانعدم الأمن وفسدت السلائق وارتد المجتمع إلى جاهلية تشبه الجاهلية الأولى بضلالها وبدعها وخرافاتها .

وفي توافق تام التأمت الإمامة والسياسة في هذا الكيان السياسي الجديد الذي شهدته بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري .

ونشـــأ في قلب الجزيرة مجتمع هذب الإسلام جوانبه وقوم اعوجاجه وأزال نقائضـــه . ميز الإنسان فيه بين الحق والباطل والعدل والظلم والهدى والضـــلال . صار على نفسه بصيرًا ، وسادت ولأول مرة وبعد عدة قرون أحكـــام الشـــريعة الإسلامية الغراء . وأصبحت الدرعية بقيادة الكيان الجديد عاصمة للدولة بعد أن كانت مقرًا لعشيرة . وما لبث أن خرجت من الظل إلى الضـــوء ومن غموض التاريخ لتصبح إحدى قواعد الجزيرة العربية المقترنة باسم « آل سعود »[1] .

يعتـــبر الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب من زعماء الإصلاح في العلم الإسلامي ، ورأى في أثناء رحلاته إلى كثير من بلاد العالم الإسلامي أن هذا التوحـــيد الذي هو مزية الإسلام الكبرى ، قد دخله الكثير من الفساد فالتوحيد أساسه الاعتقاد بأن الله وحده ، هو خالق هذا العالم والمسيطر عليه ، وواضع قوانينه التي يسير عليها ، والمشرع له وليس في الخلق ممن يشاركه في خلقه ولا في حكمه ولا من يعينه على تصريف أموره . لأنه تعالى ليس في حاجة

---

(١) المرجع السابق ، ص١٠ .

إلـــى عون أحد مهما كان من المقربين إليه . هو الذي بيده الحكم وحده وهو الـــذي بـــيده النفع والضر وحده لا شريك له . فمعنى لا إله إلا الله ليس في الوجـــود ذو سلطة إلا هو ، وليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم إلا هو سبحانه وتعالى .

إذن فمـــا بـــال العـــالم الإسلامي اليوم يعدل عن هذا التوحيد المطلق الخـــالص من كل شائبة إلى أن يشرك مع الله كثيرًا من خلقه . فهذه أضرحة الأولـــياء يحج إليها وتقدم لها النذور ، ويعتقد أنها قادرة على النفع والضر . وهـــذه الأضـــرحة يشـــد الـــناس إليها رحالهم ويتمسحون بها ويتذللون لها ، ويطلـــبون جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم . هكذا أشغلت ذهن الشيخ رحمه الله تعـــالى فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شرك ، وفكرة التوحيد في الشريعة ، فلا مصدر له إلا الكتاب والسنة .

لقـــد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومن عاصروه يرون أن ضعف المسلمين ليس له سبب إلا العقيدة . فقد كانت العقيدة الإسلامية في أول مهدها صافية نقية من أي شرك ، وكانت (لا إله إلا الله) معناها السمو بالنفس وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق . ولا قيمة للحياة إلا إذا بذلت فـــي رفـــع لواء الحق ودفع الظلم ، وهذا هو الفرق بين العرب في الجاهلية والعرب في الإسلام ، وبهذه العقيدة وحدها غزوا وفتحوا وحكموا .

ثـــم لـــم يتغـــير شيء إلا العقيدة فتدنو من سمو التوحيد إلى حضيض الشـــرك بالتـــبرك بالأشـــجار وقـــبور الأولياء ، وركنوا إلى ذلك في حياتهم

العامـــة . ومازال كل قرن يمر تزداد النفوس ذلة حتى وصلت الحالة بالأمة الإســـلامية إلـــى فقد سيادتها وانهيار عزتها « ولا يصلح آخر الإسلام إلا بما صلح به أوله » . فلا بد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى حيث التوحيد الصـــحيح والعـــزة الحقة . لم يتجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بـــن علي في إصلاحه إلى الحياة المادية وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها ، هذا هو جوهر الدعوة التي دعا إليها يرحمه الله[1] .

الأسرة الوهابية تنسب إلى الشيخ عبد الوهاب والد الشيخ الإمام الشيخ محمد ، وكانت تعرف « بآل مشرف » أحد أجدادها . ولما ظهر شيخ الإسلام محمـــد بن عبد الواهب غلبت نسبة الأسرة إليه فعرفت « بآل الشيخ » ، وكل مـــن جاءوا بعده عرفوا بآل الشيخ اختصارًا . إلا أن اسم الوهابية هو الاسم الـــذي عرفت به هذه الأسرة في خارج ديارها . وأصول الشيخ محمد أصول كـــريمة ، فآل مشرف من فروع تميم ، وكانوا ذوي امتياز مشهود في بلدتهم والـــبلدان المجـــاورة . ولـــم يكن امتيازهم إلا الامتياز الذي لا يمحى بموت صاحبه ، وذلك هو امتياز العلم والخلق .

وشيخ الإسلام هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد ابن أحمد بن راشد بن زيد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر ابن علوي بن وهيب . وينتهون إلى القبيلة العربية المشهورة تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

---

(١) عبد العزيز آل سعود وعبقريته الشخصية الإسلامية ، د/ عبد العزيز شرف ومحمد شعبان ، ص٧٨ – ٨٢ .

وجـد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سلميان كان أعلم أهل بلده العيينة وأفقههـم ، وبـرع في العلوم الإسلامية . ومع بروزه في الفقه الحنبلي كان عالمًا في فقه المذاهب المشهورة . ولكنه لم يكن ليفتي إلا على مذهب الإمام أحمد الذي استوعبه . كما لم يفته الإطلاع على المذاهب الأخرى كفقه الشيعة وعلـم الكـلام لـيكون على علم ، وليبصر الناس بما في مذاهب الفرق من خـروج وانحراف . وتوفي الشيخ سليمان سنة « ١٠٧٩هـ » . بعد أن خلف أبـناء لـم يكن لهم شغل غير العلم ، وقد برز فيهم اثنان : « عبد الوهاب ، وإبراهـيم » وكانا عالمين جليلين . غير أن عبد الوهاب والد الإمام كان أبرز وأعلم وأشهر ، وانتهت إليه رئاسة القضاء والعلماء والفتيا .

وهذا البيت المبارك زاده الله بركة ونماء بولادة الشيخ محمد ودعوته . وهـو بيت العقيدة الصحيحة الذي شع منه النور في نجد ، ليعيد الضالين إلى الهـدى والرشد والصواب . وإذا كانت أصول الشيخ زاكية طيبة فإن فروعه أربت بفضل الله ثم بفضل شيخ الإسلام على الأصول بركة وخيرًا[1] .

الثالـث : عـبد العزيز « الأول » ابن محمد لقد امتد ملكه بعد الجهاد المتوالي إعلاء كلمة الله وتثبيت دعائم الدين الحنيف وقواعد التوحيد . فشمل جمـيع الديار النجدية والحجازية والإحساء والقطيف ورأس الخيمة والبحرين وتهامـة ومـا يليها من اليمن حتى وصل إلى كربلاء في النجف من أعمال

---

(١) صقر الجزيرة ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـ١ ص ٤١ – ٤٤ .

العـــراق . « اغـــتاله شيعي في ١٩ رجب سنة ١٢١٨هـــ »[١] . قتل الأمير عـــبد العزيـــز فـــي مســـجد الطريف بالدرعية بينما كان ساجدًا يؤدي صلاة العصر . فقدم عليه رجل من أهل العمارية المعروفة في بلاد الموصل فاغتال الإمـــام الشهيد عبد العزيز وراء الأخذ بالثأر بعد غزوة « كربلاء » وهي في نظر الشيعة البلد الحرام . وكان يرحمه الله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم .

الرابع : سعود « الثاني » ابن عبد العزيز الملقب بالكبير لقد درج على ســـيرة أبيه ، وكان بطلاً مقدامًا حليمًا كريمًا ، وكان من أحسن الناس كلامًا وأجودهـــم بيانًا ، يسر الله له الهيبة عند الأعداء والحشمة في قلوب رعاياه ، فأمنت البلاد وقام بأمر الجهاد وفتح كثيرًا من البلاد في أيام أبيه وبعد وفاته ، وانتشر نفوذه حتى شمل جزيرة العرب .

لقد بويع بالإمامة قبل مصرع أبيه ، وكان قائدًا عظيمًا وعالمًا جليلاً ، وحاكمًـــا عدلاً لا تأخذه في الله لومة لائم . خضعت له جميع أنحاء الجزيرة العربـــية ، واســـتتب الأمـــن في جميع ربوعها ، فدانت لحكمة البلاد النجدية والحجاز واليمن وعمان ، ووصلت غزواته إلى حوران في بادية الشام . كما قاد الجيوش إلى النجف وكربلاء في العراق . وفي آخر أيامه بارزته السلطنة العثمانية بالعداء فأوعزت إلى واليها محمد علي بمصر ، لمحاربة الوهابيين ، وأرســـل الحملـــة تلـــو الحملة إلى الحجاز فهزمت هزيمة شنيعة بقيادة ابنه

---

(١) معجـــم الأنســـاب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، المستشرق زامباور ، ص١٩٠ ، أخرجه د/ محمد زكي وحسن أحمد ، ترجمة إسماعيل كاشف وحافظ أحمد وأحمد محمود .

« طوسون » . وفي عام « ١٢٢١هـ » : وردت الأخبار إلى مصر بأن الوهابيين قد دخلوا مكة والطائف والمدينة وغيرها من بلاد الحجاز فرتبوا فيه الأحوال وضبطوا الثغور . فساروا في الحجاز سيرة حسنة لم يبلغنا عنهم أنهم أحدثوا شيئًا من الحوادث سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع شرب الدخان ظاهرًا ، وهدم القباب المبنية على القبور غير قبر رسول الله ﷺ ، فأنهم لم يتعرضوا له بشيء . ثم إن الشريف غالب صار يكاتب الدول ويحثهم على الخروج لقتال هؤلاء الوهابيين ويرميهم بالمنكرات مرة ويقول : إنهم خوارج يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم إلى غير ذلك .

وفي سنة ١٢٢٦هـ استعملت الدولة العثمانية محمد علي على الأقاليم المصرية ، وحثته على قتال الوهابيين واستنقاذ الحرمين الشريفين من أيديهم مع ما يضم إلى ذلك من بلدان الحجاز والثغور . فعند ذلك شهر محمد علي وجد واجتهد وبعث البعوث الكثيرة . وأمر ابنه محمد طوسون أن يسير بها إلى الحجاز ويقاتل الوهابيين ويستنقذ الحرمين الشريفين فوصلت الجموع الكثيرة إلى ينبع وقد ملأوا شعابها ورهادها خيولاً ورجالاً وأموالاً وأمتعة . والوهابيون مقيمون في وادي الصفراء وهم نحو سبعة الآلاف مقاتل . فحملت الأتراك على الوهابيين فثبتوا لهم حتى هزموهم . فولى الأتراك مدبرين يقتل بعضهم بعضًا بالرصاص تجنبًا لعدم الفرار .

ثـم قال : إن الشريف غالب بن سرور أخذ يكاتب محمد علي ويشير علـيه بـأن يغري الأتراك ويجعل قسمًا منهم يأتون إلى ساحل ينبع وآخرين يأتون إلى ساحل الحديدة وساحل جدة حتى يعجز الوهابيون عن مقاتليهم .

لقـد كتب الإمام سعود بن عبد العزيز كتابًا إلى السلطان سليم عندما دخل الحجاز واستولى على الحرمين الشريفين هذا نصه : (من سعود بن عبد العزيـز إلى سليم : أما بعد : فقد دخلت مكة في اليوم الرابع من محرم سنة « ١٢١٨هـ » ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعدما هدمت ما هناك من أشياء وثنية وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقًا ، وأثبت القاضي الذي وليـته أنـت طـبقًا للشرع . فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور إلى هذا البلد المقدس . فإن ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته) .

جاءت النجدات المصرية في عام « ١٢٢٧هـ » فأعاد الكرة طوسون علـى المديـنة بعـد أن احـتل ينـبع ، ووادي الصفراء ، وبدرًا ، واحتل المديـنة المنورة . وقد استبشر الشريف غالب بهذا النصر ، ودخل طوسون مكة والطائف بمساعدته دون مقاومة .

ثـم جـاء محمد علي بالنجدات فوصل إلى جدة سنة « ١٢٢٨هـ » ، فاستقبله فيها الشريف غالب ثم رافقه إلى مكة . وعندما استقر محمد علي فيها جـازى الشـريف غالـب بان قبض عليه وعلى أولاده عملا بالأمر العالي أرسلهم مخفورين إلى مصر ، ونصب مكانه ابن أخيه يحيى بن سرور . وفي

ســـنة « ١٢٢٩هـــ »توفي الإمام سعود بن عبد العزيز في الدرعية ، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وقد خلف كثيرين : أكبرهم عبد الله ثم فيصل وتركي ومشاري وعمر وفهد وخالد و حسن وغيرهم[١] .

الخـــامس : عبد الله بن سعود الملقب بالكبير تولى الإمارة بعد أبيه ، وكـــان مستنير الذهن متصفا بالأمانة و الروية في أموره . لم يكن شجاعا في طـــبقة آل سعود ، ولكن انتسابه إليهم كان يولد فيه قوة وحماسه تجعلانه يقدم إلـــى مـــيدان القـــتال ، فاستطاع أن يثبت للمصريين بضع سنوات تقهقر في خلالها البلد و الأمة إلى الوراء .

وأخـــذت أجـــزاء الدولة العربية بموت سعود الكبير تتفكك ، وأخذت روحهـــا القويـــة الوثابة تضعف . وأول وهن أصاب الدولة في زمن عبد الله انحـــلال أواصر القربى و انقسام الأسرة . وبدأ عهده بسلسلة من النزاع في داخل البيت الحاكم بينه وبين عمه عبد الله بن عبد العزيز ، فقد طمع العم في ابـــن أخـــيه حين رأى اللين و الهوادة . وليس قيامه على أبن أخيه طلبا لحق شـــرعي مفقود منه ، وإنما كان طمعا فيه ولكن الله أعان ابن الأخ على عمه فانتصر عليه . غير أن الكدر أخذ يأتيه من ناحية أخرى ، فتسرب الوهن إلى قلـــب حكومـــته ، وبـــدأت عناصـــر القوة و الوحدة تنحل و تضمحل . وبدأ المرتـــزقة يلقـــون شـــباكهم فـــي مـــياه العكـــرة ، فبعـــثوا إلـــى محمـــد والي مصر يشرحون له الحال وما وصلت إليه البلاد من الضعف والتفكك .

---

(١) تـــاريخ ملـــوك آل ســـعود ، سمو الأمير سعود بن هذلول ، جـــ١ ص١١ – ١٥ ، الطبعة الثانية .

فسنحت الفرصة لمحمد علي وهو الطامع في حكم العرب ، فرأى أن يبادر إليها ويجني منها ثمارها .

ولم يستطع عبد الله القضاء على الفتن و الثورات ، ولم يستطع (طوسون) التقدم متوغلا في نجد ، بل احتل (الرس) ووقف عندها . واضطر عبد الله إلى طرق أبواب المفاوضة علها تجديه نفعاً وتنقذه مما هو فيه . وعقد مع طوسون صلحاً سنة « ١٢٣٠هـ »كان بمثابة هدنة بين الفريقين ربح منها المصريون ربحاً عظيماً ، فتمكنوا من استجماع القوة ومعاودة الكرة . إلا أن محمد علي جهز جيشاً قوياً بقيادة ابنه إبراهيم فتقدم الجيش حتى وصل الحناكية بالقرب من المدينة المنورة وعسكر بها ، واخذ يرصد ما يستجد من الحوادث ، ويفكر فيما يصلح من الوسائل لحوز النصر بأرخص ثمن ، فرمى الذهب لبعض القبائل حتى خلب عقولهم بريقه .

ولبث في الحناكية ستة اشهر يغري العربان ويستغويهم ، ثم سار بجيشه الكثيف ميمما نجداً ، وأخذت المدن والبلدان والقرى تسقط بعد تقويض أسوارها بمدافعه الضخمة . وصار شغله الشاغل التفكير في فتح الدرعيه العاصمة ، فأخذ في تهديم أسوارها وإلقاء الرعب في قلوب أهلها بالقنابل التي تزعجهم ليلا ونهارا . فوالى الهجوم والتخريب ، فأسرع أهل الدرعية إلى أميرهم عبد الله وطلبوا منه أن يضع حدا لما هم فيه . فاضطر عبد الله إلى أن يخرج إلى إبراهيم ويسلم نفسه بلا قيد ولا شرط ، وذلك في اليوم

الثامن من شهر ذي الحجة سنة « ١٢٣٣هـ » فأرسل إلى الاستانه فأمر الباب العالي بقتلة رحمه الله[١] .

وقد كان دأب هذا البيت العربي النبيل ((بيت آل سعود)) منذ نشأته أن يجمع بين أطراف جزيرة العرب ، ويوحد بين أهلها وسكانها في دولة عربية واسعة الأطراف ، وقدم آل سعود الشهداء تباعاً على محراب هذا الهدف الأسمى .وهذا ما كان يخيف آل عثمان في أي حكم قائم على أسس أخرى . ومن تتبع المراحل التي مر بها الحكم السعودي فإن بدايته قد تمت بتعاهد الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب . وانطلقت الدعوة . فاستجاب البعض لدعوته وانضموا إلى الدولة مختارين ، ورفض آخرون الانضمام إلها . وكان العامل الديني أقوى العوامل في تحديد مواقف المؤيدين والمعارضين على حد سواء . على أن انضمام إمارات إلى الدولة مهما كان عددها قليلا في البداية ــ قد أخل بميزان القوة المحلية في نجد لصالح هذه الدولة . ولذلك كانت قوتها العسكرية راجحة أمام خصومها المحليين الذين كانوا بصفة عامة مفككين ، ومضت تحرز انتصارات تلو انتصارات متخطية ما قام أمامها من عقبات .

لقد تمكنت دولة الدعوة المنطلقة من مركزها في الدرعية توحيد نجد وقبائلها في مستهل القرن الثالث عشر الهجري . ولم ينته العقد الأول من ذلك القرن إلا وقد توطد حكمها في المنطقة الشرقية من البلاد . ثم دخلت طاعتها

---

(١) صقر الجزيرة العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـ١ ص١٨٩ – ١٩٤ .

منطقة عسير ، وفي مستهل عام « ١٢١٨هـ » دخل الأمير سعود بن عبد العزيز مكة المكرمة دون إراقة دماء ولم ينته الربع الأول من القرن الثالث عشر إلا وقد بلغت الدولة السعودية الأولى أوج اتساعها . لقد وحدت مع نجد كل شرقي الجزيرة العربية الإحساء والقطيف وقطر ، ومدت لها نوعاً من النفوذ في البحرين . كما دخل تحت حكمها الجهات التي تكونت منها في العصر الحديث دولة الإمارات العربية المتحدة ، وأجزاء من أرضي سلطنة عمان . أما غرباً فقد دخلت كل الأقاليم الحجازية تحت حكمها . كما دخلت منطقة عسير وتهامة ، وإقليم جازان .وامتدت رقعتها جنوباً حتى الربع الخالي . وأما شمالاً فقد أدخلت تحت طاعتها جميع أجزاء الجزيرة العربية الشمالية . وهكذا توحدت معظم مناطق الجزيرة العربية في دولة واحدة .

ولم يكن تطور الدولة السعودية الأولى بمنأى عن علم ولاة الدولة العثمانية وقادتها . لكنهم اعتقدوا في بداية الأمر أن القوة المحلية المعارضة لها قادرة على إيقاف مدها . ولما رأوا هيمنة قادتها على شرق البلاد ونجاحهم في صد حملات شريف مكة ، بل وإحراز النصر علية ، تحركوا ضدها . فأرسلوا حملتين من العراق للقضاء عليها ،لكن الحملتين فشلتا ، واستطاع قادة آل سعود أن يشنوا غزوات خاطفة داخل أراضي والى بغداد . ولما دخل الحرمان الشريفان تحت الحكم السعودي جن جنون العثمانيين ، وازداد تصميمهم على إنهاء هذا الحكم ، فعهدوا إلى والي مصر محمد علي بانتزاع الحجاز من السعوديين والقضاء على دولتهم .

وبعـــد أن اســـتعد محمـــد علي لحرب جعل قيادة الحملة المتجهة إلى الحجاز لابنه طوسون .

ولقيت هذه القوات هزائم في أول الأمر ، لكن انحياز شريف مكة سهل فيما بعد دخول المدن الحجازية الكبيرة .

وتزامن ذلك مع وفات الإمام سعود بن عبد العزيز القائد الذي لم تهزم له راية . فكسب محمد علي الجولة ثم توالت انتصارات قواته حتى تمكن ابنه إبراهـــيم من محاصرة الدرعيه . ورغم الصمود الذي أبداه الإمام عبد الله بن سعود فإن تدفق الإمدادات على جيش إبراهيم اضطر الإمام إلى الاستسلام له عام « ١٢٣٣هـــ » . وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى[١] .

---

(١) المرجع السابق ، جـــ١ ص١٥٦ - ٢٠٠ .

الدولة السعودية في دورها الثاني

بعد تدمير الدرعية من قبل إبراهيم باشا تفرقت الكلمة و برزت الأطماع الذاتية ، وساءت أحوال البلاد لمدة ست سنوات . لكن آل سعود لم تلن عزيمتهم ، وكان المسلم به أن يظهر من آل سعود من يتولى قيادة الدولة من جديد ويرد اعتبارها ويستعيد مكانتها لتصبح دولة قوية مهيبة الجانب . فقد دفعت الغيرة الوطنية الإمام تركي بن عبد الله إلى تخليص بلاده من حكم أجنبي باغ لم يرع الله في الحرمات . وقد أقبل الناس من أنحاء نجد وانضموا إلى قيادته طائعين . وقد وفق الإمام واستطاع أن يكسر شوكة الطغاة ، ويعيد لنجد وحدتها وكرامتها بعد الفوضى والتفرقة والإنحلال التي أضاعت جهودا عزيزة بذلها آل سعود في سبيل العودة إلى مجتمع السلف الصالح ، سلامة عقيدة والتئام صف وتحاب في الله . لقد أعاد للدولة كيانها وطهر مجتمعها مما أفسدته المشارب الدخيلة ووحد الصفوف التي فرقها الأجنبي . لهذا أصبح بحق (مؤسس الدولة السعودية الثانية) [1] .

السادس : تركي بن عبد الله بن سعود الكبير كان متنقلا في نجد هربا من إبراهيم باشا لئلا يقتله أو ينفيه كآل سعود ، وبعد قتال ونزاع صفا ه الجو ولكن إلى حين . بتولي تركي انتقلت الإمارة من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبد الله بن محمد ، وما زال فيها إلى يومنا هذا . ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذا مؤسس الإمارة السعودية في دورها الثاني بعد أن سقطت وقتل عبد الله بن سعود .

---

(١) في آفاق التربية الوطنية ، د/ سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ، ص١١ .

واستطاع تركي بخلائقه الكبيرة أن يجعل اسم آل سعود حيا في نفوس العـــرب ، ولـــو لـــم يـــنجح في تشييد صرح الدولة كما نجح سعود الكبير . فـــالأعداء قد أحاطوا به من كل جانب ، وشغلوا حياته و تفكيره . فهو دائما مهـــاجم أو مدافع ، إما انتزاع الأرض اغتصبت منه ، وإما دفاعا عن رقعة تحت يده يخشى أن تفلت منه . وماذا يصنع وخصومه التفوا به و ماذا يعمل وقد فشا الفساد والسطو والقتل في رابعة النهار أكثر منه في جنح الليل .

وفي سنة « ١٢٣٥هـــ » غادر تركي الرياض هاربا من الأتراك الذين حاصـــروها . وفي نفس الوقت ثائرا عليهم معلنا أن العرب أولى من غيرهم بحكـــم أنفســـهم . و مضـــى يجمـــع الكلمـــة ويوحد الصفوف ويقضي على المنازعات الداخلية حتى استولى على العارض بعد أن نازع الترك . ثم غزا الإحساء والقطيف وفتحها ، وادخل كثيرا من القرى والمدن تحت حكمه ، وقد جعل الرياض عاصمة حكمه .

وفي سنة « ١٢٤٩هـــ » خامرت مشاري بن عبد الرحمن فكرة اغتيال خالـــه الإمام تركي و الاستيلاء على الحكم . ثم نفذ فكرته في جرأة وحماقة بواســـطة خادمـــه الـــذي اغـــتال الإمـــام عقـــب خـــروجه من المسجد بعد صلاة الجمعة . وكان فيصل بن تركي ابن القتيل في أطراف القطيف ، ومعه جـــيش لجب يؤدب به العصاة المارقين . فوصله نبأ أبيه على يد مشاري بن سعود فأعد السير راجعا إلى الرياض يطالب بدم أبيه المقتول ظلما وعدوانا .

وفـــي الحـــادي عشـــر مـــن صفر سنة « ١٢٥٠هـــ » وصل الرياض وقتل مشاري[١] .

السابع : مشاري بن سعود : وهو لم ينعم بالإمارة .

الثامـــن : فيصـــل بن تركي بن عبد الله : استقر الحكم له فنشر راية العـــدل والحق في جميع أنحاء البلاد . بعد ما خلفه الجاني مشاري في إقدامه على اغتيال خاله ، فجعل آلامه في وجل من جريمته إلى أن تدارك الله البلاد والعـــباد بولده الإمام فيصل بن تركي الذي تنحى عن الإمارة بسبب الضغط التركي المصري . وسلم نفسه لقائد الحملة خورشيد باشا فجهزه وأرسله إلى مصر .

التاســـع : خـــالد بن سعود الكبير : وقد تولى الإمارة في ظل الحكم العثماني مدة سنتين وخلع ووضع مكانه عبد الله بن ثنيان .

العاشـــر :عبد الله بن الثنيان بن إبراهيم بن الثنيان بن سعود الأول ، وقد أسرع فيصل بن تركي باسترجاع الإمارة منه .

الحادي عشر : فيصل بن تركي بن عبد الله (للمرة الثانية) أراد الله فرج للديار النجدية مما هي فيه من ضيق ومحن . فقد تمكن الإمام فيصل بن تركـــي مـــن الهرب من القصر الذي اتخذه حاكم مصر مقرا له ، وعاد إلى وطـــنه ومكـــنه الله مـــن استرجاع ملكه . وكان الإمام فيصل دائبا على نشر

---

(١) صقر الجزيرة العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـ١ ص١٩٦ – ١٩٨ .

الطمأنينة والسلامة والعدل في طول البلاد وعرضها . وكان أخوه جلوي السيف القاطع بيده ، ومع هذا لم تسلم البلاد من بعض الفتن والقلاقل .

وقد كان فيصل إماما عادلا حليما مهابا وافر العقل كريما ، حسن السيرة ، رفيع الأخلاق ، محبا للعلماء ، كثير الخوف من الله ، ناسكا كثير العبادة . وقد أعقب أربعة أنجال هم : (عبد الله ، محمد ، سعود ، عبد الرحمن)[1] .

الثاني عشر : عبد الله بن فيصل بن تركي : بموت فيصل بن تركي فقدت نجد شخصية عظيمة ووقع التنافس بين ولديه عبد الله وسعود. وكان من نتيجة الخصومات والمنازعات التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة ، انحلال دولتهم . وكان عبد الله حمل على قبائل (عجمان) لتعديهم على الحجاج فهزمهم قرب الكويت . فراحوا شمالا وتحالفوا مع حاكم البحرين ، وتقدموا إلى الهفوف فحاصروها ، واخذ عبد الله بمساعدة أخيه محمد فترة كبيرة في مهاجمة الهفوف لاستردادها ، وفي ذلك الوقت سارع سعود وأعوانه في احتلال الرياض ، ويبدو أن عبد الله قد هزم في الهفوف . وأخذ ينتقل حتى وصل إلى محمد بن الرشيد في حائل ، فلم يجد صدرا منه . وأخيرا اتصل بمدحت باشا والي بغداد من قبل العثمانيين ليستمد منه المعونة ضد أخيه فوجد مدحت هذه الفرصة سانحة للاستيلاء على الإحساء ، واستعان لتحقيق غرضه (بحاكم الكويت ورئيس قبيلة المنتفق ، وقبيلة بني خالد) ، وهكذا انسلخت

---

(١) الاستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ، للمؤلف ، ص١٨٧ – ١٨٨ .

الإحساء من أيدي الأخوين إلى أيدي الأتراك . وبقي عبد الله متنقلا طوال مدة حكم أخيه حتى مات سعود وتولى بعده أخوه الأصغر عبد الرحمن .

الثالث عشر : سعود بن فيصل بن تركي : أراد سعود أن يسترد الإحساء من الأتراك بعد أن أضاعها أخوه عبد الله ، فأرسل أخاه عبد الرحمن (والد الملك عبد العزيز) إلى بغداد . حيث مكث بها أربع سنوات دون أن يصل إلى نتيجة فعاد ، وعندئذ قام سعود بحملة على الإحساء ولكنه لم يتمكن من غزوها ، وعاد إلى الرياض حيث توفي سنة « ١٢٩١هـ » .

الرابع عشر : عبد الرحمن بن فيصل بن تركي : بايع أهل الرياض عبد الرحمن بعد موت سعود ، إماما لهم وحاكما عليهم ومضى على ذلك نحو سنة . غير أن عبد الله بن فيصل عز عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكما في الرياض وأعلن نفسه إماما وحاكما عليها . ورأى عبد الرحمن حين إذ أن يتنازل لأخيه عن الإمارة ليضع حدا للفتن الداخلية التي أنهكت دولتهم .

لكن هذا الحكم لم يدم طويلا لعبد الله لأن خصومه وأعداءه تمكنوا من القبض عليه وحبسه سنة « ١٣٠٥هـ » . وعندئذ أسرع محمد بن الرشيد أمير حائل إلى مساعدة عبد الله بن فيصل و فك أسره وأخذه معه إلى حائل . وأقام في الرياض عاملا من قبله بجانب عبد الرحمن بن فيصل ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن أيضا إلى حائل ليقيم مع أخيه عبد الله . وفي سنة « ١٣٠٨هـ » أذن ابن الرشيد لعبد الله وعبد الرحمن بسكني الرياض غير أن المنية لم تمهل عبد الله بن فيصل فمات بعد وصوله .

أمـــا عـــبد الرحمن فلم يرض لنفسه أن يكون تحت رحمة ابن الرشيد بالـــرياض فأتفق مع أهل القصيم على مبايعته ومباغتة ابن الرشيد في حائل . ومـــا أن علـــم الأخير بذلك حتى هاجمهم في موقعة المليدة . حاول بعد ذلك عـــبد الرحمـــن أن يسترد الرياض له ذلك . ولكن الأعداء أعدوا جيشا قويا لمهاجمـــة الرياض ، لذلك أيقن عبد الرحمن أن الأمر أصبح فوق مقدوره . فترك وأسرته نجد إلى الإحساء فالقطيف فالكويت حيث استقر بها ونزل ضيفا على أميرها من آل الصباح في سنة « ١٣٠٩هـــ » . ولم يزل على هذا الحال حـــتى أذن الله فقـــام الفـــتى عبد العزيز ابنه بمغامرته التي كانت نتيجتها أن اســـتولى علـــى الـــرياض فاستعاد بذلك عاصمة ملكهم القديم ، ووضع أسس الدولة السعودية الحديثة[1] .

انتهت الدولة السعودية الثانية برحيل الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركـــي آل سعود وعائلته إلى الإحساء فالبحرين ثم قطر بمنازل بني مرة في الـــربع الخالـــي ثم الكويت . وكان ذلك نتيجة لمعركة « المليدة » الثانية سنة «١٣٠٨هـــــ » بيـــن ابـــن رشيد وأهل القصيم المحالفين للإمام عبد الرحمن آل ســـعود ومعـــركة « حـــريملاء » ســـنة « ١٣٠٩هـــــ » بين قوات الإمام عـــبد الرحمن وابن الرشيد . حيث انتهت هاتان المعركتان الصالح ابن رشيد ضـــد الإمام عبد الرحمن وتولية إمارة الرياض اسميًا الأمير محمد بن فيصل آل ســـعود حتى توفي سنة « ١٣١١هـــ »وقد نزل الإمام عبد الرحمن وعائلته ضـــيفاً على آل صباح كنوع من النفي بترتيب من الدولة العثمانية ، لتضمن

---

(١) المملكـــة العربـــية الســـعودية في إطار تاريخ الوطن العربي الكبير ، د/حسين محمود وسيد محمد ، ص١٠٣ – ١١٠ .

عدم تكرار محاولته لتأليب القبائل على الدولة العثمانية . وعلى حليفها الجديدة ابـــن الرشيد ، ولئلا يستنجد بالعدو الجديد بالمنطقة بريطانيا التي تحاول بسط نفوذهـــا فـــي المـــنطقة . بعد أن أصبح لها الحماية لبعض أجزاء من الخليج العربي وعدن ، ولها معاهدات حماية مع أمراء هذه المشيخات بما يحفظ لها تأميـــن وحمايـــة أساطيلها في البحر العربي والخليج العربي . خصوصا وأن الدولـــة العثمانـــية كانت تهيمن على معظم الأقطار العربية وأجزاء من شبه الجزيـــرة العربية ، فهي موجودة بالعراق وسوريا وفلسطين ومصر وبعض أقطـــار المغـــرب العربـــي . وتحكم هذه الأقطار عن طريق ولاياتها ، ولها جيوش في بعض هذه الأقطار تأتمر بالقيادة العامة من الاستانة[1] .

وليست تركيا وبريطانيا التي أصبح لهما موطىء قدم في شمال وشرق شبه الجزيرة هما الدولتان اللتان لهما أطماع بالسيطرة على المنطقة فقط . فقد كانـــت كل من ألمانيا وروسيا تحاولان التنافس على المنطقة ، وخاصة شمال الجزيرة العربية والخليج العربي . فقد مدت ألمانيا سكة الحديد من برلين إلى بغـــداد لاستغلال خيرات المنطقة ، كما كان لروسيا رؤيتها في إمداد نفوذها ومحاولـــة وصـــلها إلى المياه الدافئة التي تربطها بالمحيط الهادي وقد ظهر عـــبد العزيـــز آل الرشيد بتوليه الحكم سنة « ١٣١٥هـــ » كأكبر قيادة تتزعم نجـــد ، وتمـــد أطماعها لتصل إلى الخليج بالتعاون مع الدولة العثمانية . وفي الكويـــت استولى الشيخ مبارك الصباح على السلطة سنة « ١٣١٣هـــ » وبرز

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ص٣٥ . شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عـــبد العزيـــز ، خير الدين الزركلي ، ص٥٦ – ٥٧ . تاريخ الملك عبد العزيز ، أمين ابن سعيد ص١٨٤.

كقــوة لهــا أطماع منافية لابن الرشيد مما دفعه أن يوقع معاهدة حماية سنة « ١٣١٦هـــ »بينه وبين بريطانيا . ونتيجة لهذه المعاهدة أرادت تركيا تأديب الشيخ مبارك بتحريض ومساعدة ابن الرشيد ضد الشيخ مبارك ، وأرسلت له بعض الأسلحة مما قوى جناحه ، وبدأ بإخضاع القبائل . فجمع الشيخ مبارك قــوة من أهل الكويت والقبائل القريبة منه ، وأمراء بريدة وعنيزة ، كما بدأ بالاتصـــال بأهل القصيم لمناصرته في الوثوب على ابن رشيد ، وجهز حملة أتجه بها لمنازلة ابن الرشيد ، وكان من ضمن هذه الحملة الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود حيث استنجد به للاتصال بالعجمان وبني مرة لمناصرة ابن الصباح .

وكــان الأمــير الفــتى عــبد العزيز يرافق والده في المفاوضات مع متصــرف الإحســاء لتسلية ولاية الرياض بعد أن احتلها ابن الرشيد شريطة إعلان خضوعه للدولة العثمانية في إعطائها مبلغاً من المال باسم الخراج وقد اعتذر الإمام عن تنفيذ هذه المفاوضات ، ووصل مع أفراد عائلته إلى الكويت إلــى أن أنقــذ الله الــبلاد على يد جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصــل . الــذي كان يرافق والدة في أكثر أوقاته وحضر مجالسه ، فتعلم كثــيرا من أحوال العرب وألم بتاريخهم . وكان يدقق في كل صغيرة وكبيرة لــيقف علــى حقائق الأمور فلا يذهل عنها ، لأنه كان يعتقد بأنها تسعفه في تحقيق الأهداف الجليلة التي كان ينشدها وهو في ديار غربته وعزلته .

لقــد رأى عبد العزيز عمومته تنازعون الملك ويتحاربون في سبيله ، ورأى كيف استغل عدو بيته (ابن الرشيد) هذا الخلاف فانقض على الوطن الــنجدي يحتل مدنه واحدة تلو الأخرى . وشاهد والده كيف كان يستبسل في

الـــذود عن الحمى المستباح ، ولكنه يخفق في جهاده لان خصومه سبقوه إلى الاحتفاظ بالمبادرة . وعملوا في إيقاع الشقاق وبذور الفساد بين رؤساء البلاد وزعمـــاء القبائل والعشائر واستغلوها لحسابهم ودعما فيها مصلحتهم ، فكان لهـــم فـــيها ما أرادوه غصبا بحد السيف . ولعل في هذا الاغتصاب ما جعل الأمـــير الفـــتى عبد العزيز يطرح القلم جانبا ويلتفت إلى السيف وحده ليكون فصل الخطاب وهكذا كان[1] .

---

(١) تاريخ نجد ، عبد الله فلبمي ، ص١٨٤ – ٢٧٦ . تاريخ ملوك آل سعود ، سمو الأمير سعود ابن هذلول ، ص٥٥ – ٥٧ .

الدولة السعودية في دورها الثالث

الخامس عشر : عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل . كان الأمير الفتى عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، دائم القلق على الوضع الـذي تكـبده بـلاده تحـت سلطان ابن رشيد وحكمه الجائر ، وأطلع والده عـبد الرحمـن على نواياه ، وأشفق الوالد على ولده أن يذهب ضحية وطنه الغالـي ، فـراح ينصـحه أن يترك التفكير في هذا الموضوع إلى الفرص المواتية .

إلا أن الأمـير عبد العزيز أصر على تنفيذ قراره باستعادة الرياض ، وراح يسـتجدي موافقة والده على العمل العظيم بأساليب مختلفة إلى أن وافق الوالـد إلى طلب الولد مشترطا عليه أمرا واحدا . ذلك انه في حالة انتصاره واسـتعادة العاصمة الرياض ، يبقى حاكما عليها لأنه شخصيا لا ينشد الحكم والسـلطان . وقـد واجهـت الشاب عبد العزيز الكثير من الأحداث العربية والعالمية أثناء البدء في تحركاته و التي تتلخص في الآتي :

١- الأحـداث العربـية أثـناء بداية تكوين الدولة السعودية الثالثة :

كانـت الساحة العربية مليئة بالأحداث و صراعات السلطة . ففي أول القـرن الثالـث عشـر الهجـري كانـت الدول الاستعمارية تتجه بأنظارها وأطماعها إلى أملاك الدولة العثمانية التي انتابها شيء من الفتور والانكماش

نتـيجة الخلل الداخلي . وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري بدأ نجم الدولة العثمانـية في الأفول . فقد قامت ضدها حركات من داخلها في الدول العربية إلا أن سـيادتها بقيـت نتيجة اختلاف الدول الاستعمارية في مطامعها لتقسيم ممـتلكاتها المترامية الأطراف . هذه الممتلكات هي الدول العربية ، كيف لا والعـرب يشـغلون حـيزا من الكرة الأرضية يقع بين المحيط الهندي وخط الاسـتواء جـنوبا ، والخليج العربي وإيران شرقا ، وجبال طوروس وساحل الـبحر الأبـيض المتوسط الجنوبي شمالا ، والمحيط الأطلسي غربا . وهي مسـاحة شاسـعة تزيد على أربعة ملاين وربع المليون من الأميال المربعه موزعـون فـيها على ممالك وجمهوريات وسلطنات وأقطار محمية ومناطق تحت الإدارة الدولية ومستعمرات يبلغ عددها تقريبا نحو الخمسين مستعمرة .

مـع ذلـك فهي جميعا متجاورة متلاصقة لا تكاد تفصل بين الواحدة والأخـرى حواجـز جغرافـية . وتربط بين رعاياها وحدة الدين الإسلامي ووشـائج من المصالح الاقتصادية ، والوحدة الثقافية . وتجمع بين هذه الدول الوحـدة المتكاملة التي حققتها الفتوحات الإسلامية في فترات متلاحقة أشكال مخـتلفة لأمـن الوحدة السياسية . بل إنها في أكثر من عهد بدت جميعا دوله واحـدة إلا أن هناك أسباب أدت إلى الفرقة بين العرب والتي فتتت في عضد تلـك الوحدة . لقد بدأ الملك عبد العزيز في إعادة ملك آبائه وتكوين دوله في فـترة مـن أصـعب الفترات المليئة بالأحداث وصراعات السلطة والأطماع الاستعمارية في لساحة العربية والتي تتلخص في الآتي :

أ- المملكة العربية السعودية قبل توحيدها :

شـــهدت الدولة السعودية الثانية ما شهدت مما شجع محمد بن الرشيد على الرياض رغم كفاح الأمير عبد الرحمن بن فيصل لاستعادة ملكه . وعز علـــيه أن يســـتمر على الحياة في الرياض التي حكمها آباؤه وأجداده حكاماً مكرميـــن بيـــنما مـــندوب ابن الرشيد هو صاحب الأمر والنهي فيها . فقرر الهجـــرة من وطنه إلى الكويت بعد أن عرض عليه أميرها ضيافته . وأيضاً بعد رفضه لمبعوث الحكومة التركية التي بدأت تستريب من موقف آل رشيد فعرضـــوا على الأمير عبد الرحمن أن يساعدوه في استعادة الرياض بشرط قبوله أن يضعوا فيها قوة عسكرية وأن يعترف بتبعيته لهم .

وبذلك تجمع ضده حقد آل الرشيد وعداوة الحكومة التركية . وقد انتقل الأمـــير عـــبد الرحمـــن وأسرته إلى الكويت ، حيث عاش الملك عبد العزيز طفولـــته في الكويت تلك أول نافذة له على الحياة الدولية . ولكي يقدر المرء المدى الكامل لإنجازات الملك عبد العزيز عليه أن يعرف شيئاً عن مجريات السياسة في جزيرة العرب قبل البدء في تحركه لاستعادة ملك آبائه وأجداده .

فقـــد كان معظم جزيرة العرب في بداية القرن الرابع عشر الهجري تحت نفوذ أو حكم الدولة العثمانية التي كانت حينذاك لا تزال قوية رغم قرب نهايتها . ففي المنطقة الغربية كانوا يحكمون الحجاز بواسطة الشريف حسين بـــن علـــي أمـــير مكة المكرمة آنذاك ، وكذا الحال بالنسبة للمنطقة الجنوبية بوسطه آل عائض والأدارسة .

أمـــا فـــي المـــنطقة الشمالية فكانوا يسيطرون على الهلال الخصيب وحاولوا أن يسيطرون على المنطقة الصحراوية في جزيرة العرب بمساعدتهم

للقـبائل الذيـن بـدوا لهم أقوى من غيرهم ، إلا أن هذا النجاح التركي كان مؤقتاً .

أما بالنسبة للمنطقة الوسطى للمملكة فهي في معظمها صحراء واسعة أو مـدن صغيرة حول واحات قليلة يقطنها كثير من القبائل . وكان يوجد بها أسرتان بارزتان إحداهما آل الرشيد ومركزها حائل ، والثانية آل سعود التي كـان مقـرها الرياض والتي كان لها تاريخ متميز عن غيرها . إلا أن دعم الحكومة التركية لآل الرشيد مقابل ولائه لهم مكنه من الاستيلاء على الرياض و مغادرة الإمام عبد الرحمن و أسرته لها . وأصبحت القبائل التي تعيش في نجـد وأهل الرياض في خوف من بطش ابن الرشيد وظلمه لأن البلاد خالية مـن حـاكم حقيقـي يقبض على الزمام و يقضي على الفوضى التي أحدثها ابن الرشيد بفتكه لكل من يعارض سياسته أو يخرج عن نفوذه[1] .

ب- دول الخليج العربيّ :

١- سلطنة عمان :

هـي تقـع فـي أقصى الجنوب شرق الجزيرة العربية ويبلغ طول شـاطئها نحـو ألف ميل تقريبا ، احتلها البرتغاليون ثم تداعى نفوذهم وتمكن العـرب مـن طردهم . ونشأت أسرة (آل أبو سعيد) في بداية القرن الثاني عشـر الهجـري تقـريبًا وزاد نفوذها في المنطقة . وفي أوائل القرن الرابع الهجـري ثـارت قـبائل المناطق الساحلية . وعقدت سلسلة من المعاهدات

---

(١) الدول العربية الكبرى ، محمود كامل المحامي ، ص٤٣٣ - ٤٥٧ .

البريطانية التي تعد ملزمة دوليا إلا أن مركزها كان أوضح من مراكز غيرها من الدول الخليج العربي ، وأنها تعد من أشخاص القانون الدولي .

٢- دولة الكويت :

تقع شمال غرب الخليج العربي ، وقد برزت أسرة (آل الصباح) في نهاية القرن الثاني عشر الهجري تقريبا ضمن بضع أسر عربية ينتسبون إلى القبيلة العربية نفسها التي ينتسب إليها أكثر من أسرة في شبه الجزيرة العربية ، وهذه القبيلة هي قبيلة (عنزة) .

ومؤسس أسرة آل صباح الحاكمة هو صباح الأول الذي تولى الحكم في نهاية القرن الحادي عشر الهجري تقريباً . وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري حدث خلاف أدى إلى قتل مبارك الصباح أخاه محمد وأعلن نفسه أميراً على الكويت . فأوعزت الحكومة التركية إلى ابن الرشيد بأنة يجب أن تمتد سطوته إلى الكويت ، ووعدته بأن تتنازل له عن ميناء الكويت إذا طرد مباركاً واعترفوا بسلطة الحكومة التركية لها . كما بدأت ألمانيا تسد جزءاً كبيراً من احتياجات تركيا العسكرية فطلبت من الحكومة التركية منحها امتياز مد خط سكة حديدية يصل إلى بغداد . وعرضت على الشيخ مبارك بمنحه امتياز محطة لنهاية تلك السكك الحديدية التي سوف تصل إلى الكويت . إلا أن مبارك رفض ذلك العرض طبقا للاتفاق الذي كان معقودا بينه وبين بريطانيا . حرض الألمان الحكومة العثمانية التي كانت الكويت تتبعها اسميا على إرسال حملة عسكرية لتأكيد سيطرة العثمانيين عليها . وبدا

ابـــن الرشـــيد هجومـــه وتغلب على قوات مبارك في موقعة (الصريف) . واستمر في تقدمه حتى وصل بالقرب من ثغر الكويت .

خـــلال ذلـــك وصلت بارجة بريطانية وأعلن قائدها أن مبارك صديق للحكومـــة البريطانـــية وأنهـــا تحميه ، فانسحب ابن الرشيد من الكويت . لقد شـــهدت الكويـــت فـــي بداية القرن الرابع عشر الهجري الصراع عليها بين بريطانـــيا وألمانيا وروسيا وتركيا . وذلك لموقعها الجغرافي القريب من الهند تاج الإمبراطورية البريطانية والمتصل بدروب الجزيرة العربية شمالا وشرقا وجنوبا حيث كان للدولة العثمانية المكان الأول في تلك الجزيرة ، فضلا عما توقعـــه الجيولوجـــيون من وجود الزيت فيها . وأخيرا عقدت المعاهدات مع بريطانـــيا لفـــرض حمايـــتها على الكويت من أي اعتداء واعترفت باستقلال الكويت الداخلي[1] .

٣- دولة البحرين :

تـــتكون مـــن أرخبـــيل من الجزر في خليج البحرين تحد شرقاً بقطر وغـــرباً بالمملكـــة العربـــية الســـعودية . احـــتلها البرتغالـــيون في أواخر القـــرن العاشـــر الهجري تقريباً . ولكن العرب أخرجوهم منها في أواخر القـــرن الثانـــي عشر الهجري تولى أسرة (آل خليفة) حكم البحرين ، وهذه الأســـرة تنتســـب إلـــى قبيلة عنزة في بطن الجزيرة العربية . ومؤسس هذه الأسرة محمد بن خليفة ، وأول من انتقل إلى البحرين هو ابنه الملقب (أحمد الفاتح) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٧٤ – ٤٧٨ ، وص٤٨٢ – ٤٩٠ .

ففـــي بداية القرن الثالث عشر الهجري ارتبطت دولة البحرين بمعاهد مع الحكومة البريطانية لحمايتها مقابل اخذ امتياز التنقيب عن البترول .

٤- دولة قطر :

عـــبارة عـــن شبه جزيرة تقع في منتصف الجانب الغربي من الخليج العربـــي . وتتولى حكم قطر أسرة (آل ثاني) ، ويعود حكم الأمير علي ابن عـــبد الله آل ثاني إلى القرن الرابع عشر الهجري تقريباً . وعقدت معاهدات مع بريطانيا لحمايتها مقابل أخذ امتياز التنقيب عن البترول .

٥- دولة الإمارات العربية المتحدة :

ســـاحل المهادنـــة ســـابقاً ، تقـــع في جزء من الجانب الغربي للخليج العربي ، وتتكون من سبع مشيخات هي : (أبو ظبي ، دبي ، الشارقة ، رأس الخـــيمة ، أم القوين ، عجمان ، الفجيرة) . وأهمية هذه المشيخات من وجهة الـــنظر الاقتصـــادية تنحصر في إمكان العثور على البترول في أراضيها . وعقدت سلسلة من معاهدات الحماية التي تربط هذه المشيخات ببريطانيا مقابل مـــنحها امتـــياز التنقيـــب عن البترول . وكانت هذه المشيخات تسمى ساحل المهادنة قبل توحيدها في دولة واحدة[١] .

جـــ- الجمهورية العربية السورية :

فـــي أوائل القرن الرابع عشر الهجري أعلن الأمير فيصل بن الحسين

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٩٠ - ٥٠١ .

قـــائد جنود الثورة العربية تأليف حكومة عربية تشمل جميع البلاد السورية . وأصـــدر مؤتمـــر الصلح قراراً بفصل البلاد العربية عن تركيا ، وإيفاد لجنة تحقيق دولية لدراسة أحوال تلك البلاد العربية و تبين رغبات أهلها . وخلال ذلـــك أرســـل رئـــيس الحكومة البريطانية مذكرة تضمنت انسحاب الجيوش الإنجلـــيزية من سوريا ، ويحل محلها جنود فرنسيون في غرب الخط المعتبر في معاهدة (سايكس بيكو) ، وأن المقاطعات التي يبقى فيها الجنود الإنجليز هـــي العراق وفلسطين . إلا أن العرب احتجوا بشدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد ورفضوا هذه التجزئة .

وأعلـــن المؤتمـــر الوطنـــي السوري اختيار فيصل ملكاً على سورية وطلـــب استقلال العراق إلا أن مجلس الحلفاء الأعلى صدق على منح فرنسا ســـلطات الانتداب على سورية . فدخلت القوات الفرنسية دمشق وتمكنت من إجـــلاء قـــوات الملـــك فيصل عنها بعد أن هب الشعب السوري للدفاع عن استقلاله ، وكانت معركة (ميسلون) التي تعد من أيام سوريا الخالدة .

د- الجمهورية العربية اليمنية :

وكانـــت تســـمى بالمملكـــة المتوكلـــية اليمنـــية ، ففـــي أوائل القرن الرابع عشر الهجري بويع الإمام أحمد يحيى بن محمد حدميد الدين من أسرة (القاســـم الراسي) التي تحكم اليمن من القرن الثاني الهجري تقريبا . استمر مقاومة اليمنيين للأتراك في سبيل تحرير وطنهم من الحكم التركي . ولم ينته هـــذا الصراع إلا بعد مضي سبعة أعوام من تولية الإمام يحيى بتوقع معاهدة

بيـــن البلديـــن اعترفت بالإمام كتابع للخليفة العثماني ، وله حق تعيين حكام المـــنطق ورؤساء القبائل على أن يدفع عشر موارده للحكومة التركية . وبعد جـــلاء الأتراك عن اليمن تنفيذاً لمعاهدة الصلح عقب الحرب العالمية الأولى اتخذ الإمام يحيى صنعاء مقراً لحكمه .

أمـــا عـــن اليمن الجنوبي الذي يشمل عدن ومحمياتها ، فقد ارتبط مع بريطانـــيا بـــأحلاف جعلـــته مـــن مستعمراتها في أوائل القرن الثاني عشر الهجـــري . وتـــتكون المحمـــيات مـــن محميات عدن الغربية وعددها اثنتان وعشرون ، أما محميات عدن لشرقية فتتكون من ثمان محميات . وقد استغلت السياســـة الاســـتعمارية البريطانية الخلافات الدينية ، وذلك للتفرقة بين أهل اليمنيين وجيرانهم من أهل المحميات[1] .

هـــ- المملكة الأردنية الهاشمية :

تقع شرق نهر الأردن التي كانت تديرها الحكومة التركية إدارة رسمية وهـــي متمتعة بنوع من الإستقلال ، وكانت تابعة لولاية سوريا . وفي أوائل القـــرن الـــرابع عشر الهجري استدعى المندوب السامي البريطاني لفلسطين أعيان السلطة أهم مدن المنطقة ، وأخبرهم أن الحكومة البريطانية اعتزمت أن تمـــنحهم حكومة ذاتية . وأن بريطانيا اعتزمت فصل الأردن عن فلسطين ، وعينـــت الحدود بين سوريا ولبنان من جهة ، والعراق وفلسطين بما في ذلك شـــرق الأردن مـــن جهـــة أخرى . وصل الأمير عبد الله بن الحسن مع قوة

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٩٨ – ٤٠٧ ، وص٤١٠ – ٤١٣ ، وص٤٦٣ – ٤٧٣ .

عربية إلى معان وأعلن اعتزامه قيادة ثورة ضد الفرنسيين في سوريا ثم تقدم إلى عمان ، ولم يعترض البريطانيون على ذلك فتولى إدارة المنطقة .

وفـــي مؤتمـــر القاهـــرة الذي عقد بناء على دعوة (تشرشل) وزير المســـتعمرات البريطاني اعترف بالأمر الواقع ، وبعبد الله حاكما على شرق الأردن بشرط عدوله عن مهاجمة الفرنسيين ، وقبوله الحماية والمعونة المالية البريطانية . كما اعترفت بريطانيا بقيام حكومة مستقلة في شرق الأردن تحت حكـــم الأمير عبد الله و الذي عمل على استقلال هذا القطر وفي إعلان نفسه ملكا عليه .

و- الجمهورية العراقية :

كـــان العراق محتلا خلال الحرب العالمية الأولى من قبل بريطانيا ، وكـــان التصريح البريطاني الفرنسي قد جاء فيه : إنهما متفقان على المعاونة فـــي إقامـــة حكومـــة و ارادات وطنية في العراق تستمد سلطتها من انتخاب الشـــعب بها ، وأن العراق لا يجب أن يندمج سياسياً مع باقي العالم العربي ، بـــل يجب أن يبقى منعزلاً عنه بالقدر الذي يجعل منه حاجزاً خاضعاً للرقابة البريطانـــية . وعلى إثر ذلك عبأ العراقيون الذين كانوا مع فيصل بن الحسين فـــي ســـوريا الشعور الوطني في مدن العراق ، وقربوا مسافة الخلاف بين السنيين و الشيعة . وفي اليوم نفسه الذي اجتمع فيه المؤتمر السوري لإعلان استقلال سوريا ومبايعة فيصل بن الحسين ملكاً عليها اجتمع المؤتمر العراقي فـــي دمشـــق لـــيقرر إعلان استقلال العراق تحت ملكية الأمير عبد الله بن الحسين .

إلا أن معـــاهدة (ســـيفر) فصـــلت العـــراق عن الدولة العثمانية ، واعترفت بها مؤقتا دولة مستقلة بشرط أن تتولى إدارتها دولة منتدبة إلى أن تصـــبح قـــادرة علـــى حكم نفسها بنفسها . ونتيجة لذلك انتقل النشاط العربي الوطنـــي مـــن مرحلة الإثارة إلى مرحلة التحدي السافر . مما اضطر وزير المستعمرات البريطاني تشرشل إلى عقد مؤتمر في القاهرة استقر فيه على أن يكـــون فيصل بن الحسين ملكاً على العراق . كما تم عقد معاهدة مع بريطانيا لمدة عشرين عاماً ، وحق امتياز البحث عن زيت البترول لمدة خمسة وسبعين عاماً[1] .

ز- الجمهورية اللبنانية :

مـــنذ بـــدء الفتوحات الإسلامية خضعت البقاع لسيادة الدولة العربية الكـــبرى عـــدا مجموعـــة من المسيحيين محتمين بجبل لبنان . وبعد وصول الصليبيين انتعش النفوذ المسيحي في لبنان وقسم إلى إدارات مسيحية صغيرة . وفـــي القرن التاسع الهجري ضم لبنان مع سوريا إلى الدولة العثمانية ، وفي القرن العاشر الهجري ثار الأمير فخر الدين الدرزي على العثمانيين حتى ضم حدود لبنان الطبيعية ، وحصل على موافقة العثمانيين بأن يلقب سلطاناً . ولما ضعفت سطوته انتخب اللبنانيون أُسرة شهاب ، وأبرز من حكم لبنان من هذه الأسرة بشير الثاني المعروف باسم الشهابي .

وفي القرن الثالث عشر الهجري حصلت الدولة العثمانية على موافقة الـــدول الأوربية على ضم لبنان رأساً لهم وعمدوا إلى تقسيم لبنان إلى درزية

---

(١) المرجع السابق ، ص٤١٧ – ٤٣٢ .

ومارونـــية . وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري لم تكن المطامع الفرنسية الاستعمارية تنظر بعين الرضا إلى الوعي العربي ، ومطالبته بتحرير العرب من كل رقابة أجنبية وميل إلى التكتل . خصوصاً بعد قرار المؤتمر السوري العام الذي أعلن عن إنشاء دولة سوريا الكبرى والتي تضم لبنان وفلسطين .

وقـــد منح مؤتمر (سان ريمو) لفرنسا سلطات الانتداب على سوريا ولبـــنان . لـــذا قـــرر الفرنسيون تيسيراً لمهمتهم أن يتبعوا سياسة فرق تسد باستغلال الخلافات الدينية وتوسيع شقة تلك الخلافات . وقاموا بزيادة مساحة لبـــنان إلـــى ثلاثة أمثال مساحتها الأصلية بإعلان دولة لبنان الكبرى ، التي ضمنت مدن بيروت وطرابلس وصيدا ، وضم جنوب لبنان إلى حدود فلسطين الذي يغلب فيه السكان الشيعة ، وسهل البقاع الذي يسكنه خليط من المسلمين والمســـيحيين والأرثوذكـــس . وكان هدف فرنسا من اتساع مساحة لبنان هو إضعاف مركز المسيحيين لمحاولة جعلهم أكثر اعتماداً على حماية فرنسا .

حـــ- دولة فلسطين :

إن نكبة فلسطين بالصهيونية وتاريخها يتلخص في أن إسرائيل الأولى كانـــت فـــي القـــرن الخـــامس قبل الميلاد ، والثانية كانت في آخر قرن قبل المـــيلاد ، ولم يتجاوز عمرها خمسمائة وإثنى عشر عاماً ، وأن أثر الحكومة اليهودية اختفى تماماً من الأراضي العربية منذ ألفي عام .

وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري أصدر (هيرتزل) كتابه الدولة اليهودية موضحاً أن عناصر مشروعه هي أن تتقدم شركة يهود لتمتلك أرض لا يـــنازعها فـــيها أحـــد . وأن تم هجرة اليهود إليها لا رغبة في الهرب من

الاضـــطهاد أو تحسين حالة المهاجر الشخصية ، وإنما لإنشاء شعب متحد ، وقرر أن الهجرة لا قيمة لها إذا لم تكن إلى أرض لنا عليها السيادة الأكيدة .

لقـــد اســـتطاع هيرتـــيزل أن يقابل السلطان عبد الحميد وأن يقدم إليه التماســـاً بـــأن يتـــنازل للـــيهود عن فلسطين . وقد بحث سلطان تركيا جميع احـــتمالات هذا الالتماس وما وعد به من مساعدات مالية كان اليهود على أتم اســـتعداد لـــتقديمها . ولكنه لم يتردد قط في رفض فكرة السماح بإقامة دولة يهودية في فلسطين .

وعـــندما يـــئس من موافقة الدولة العثمانية على استعمار الصهيونيين لفلســـطين ، ولـــى وجهـــه شطر انجلترا وإن كانت إذ ذاك لها علاقة بحكم فلســـطين . وقـــد أشار هيرتيزل في اقتراحاته للحكومة البريطانية أن يسمح للصـــهيونيين باســـتعمار قبرص فرفض طلبه . واقترح مرة ثانية الأراضي المجـــاورة للعريش في الحدود المصرية المتاخمة لحدود فلسطين إلا أن طلبه قد رفض .

فقـــد عرضـــت الحكومـــة البريطانية منحهم أرضاً في شرق إفريقيا البريطانية واقعة في حدود المستعمرة المعروفة باسم كينيا إلا أنه في أثناء ذلك أعلنـــت الحـــرب العالمـــية الأولـــى . ومن هذا البحث التاريخي يتضح أن الصهيونيين لم يجمعوا رأيهم قط لاتخاذ فلسطين وطناً قومياً ... بل فكروا في قـــبرص وشـــبه جزيـــرة سيناء وكينيا وغيرها مما يقطع بأن المبرر لاختيار فلسطين لا أصل له .

وفـــي ذلك الوقت جاء دور وايزمان الذي استطاع أن ينشىء صلات بـــرجال الحكومـــة البريطانـــية ، وقـــد حاول أن يخطو خطوة لتحقيق آمال الصـــهيونيين . وقـــد كـــان هـــناك اقتراح من البريطانيين لتحقيق المشروع الصـــهيوني يرمي إلى وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية حتى إذا أصبح عدد المهاجرين اليهود كافياً لإنشاء دولة مستقلة أعلن حيادها كضمان ضد أي اعتداء عليها . وتحقق هذا الاقتراح بأن أعطي للمهاجر اليهودي إلى فلسطين فرصة الحصول على جنسية المواطن الفلسطيني بدون قيد . وكانت نتيجة هذه الجهـــود أنـــه بلـــغ عـــدد اليهود في فلسطين تسعين ألفا من مجموع سكانها الأصليين الذين كان يبلغ ثمانمائة ألف .

وبعـــد مضي عامين على قيام الحرب العالمية الأولى وقعت بريطانيا وفرنسا اتفاقا سريا عرف باسم اتفاق (سايكس بيكو) ، وقد نص على تقسيم الشـــرق الأوســـط العربي إلى خمس مناطق . وكانت المنطقة الخامسة التي سميت (المنطقة السمراء) و تشمل فلسطين ونص الاتفاق أن يرجأ البت في أمرها لطبيعتها الدينية الخاصة حتى تتم إدارتها دوليا .

وبعد أن مهدت الحكومة البريطانية للغدر بفلسطين كان وعد « بلفور » المشـــئوم القاضـــي بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي بفلسطين . وقد عين صـــامويل الصـــهيوني البريطاني مندوبا ساميا عهد إليه بتنفيذ شرط انتداب بريطانيا لإدارة فلسطين من قبل عصبة الأمم . متجاهلة دول العصبة رغبات الشـــعب الفلســـطيني بشأن اختيار الدولة التي تنتدب لإدارة إقليم كما يقضي الميثاق .

وقد رد العرب على ذلك بعقد المؤتمر الفلسطيني الأول بالقدس ، وهو المؤتمر الذي رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطاني ، وطالب بوحدة سوريا وسميت فلسطين سوريا الجنوبية . إلا أن مجلس عصبة الأمم أقر وثيقة انتداب بريطانيا على فلسطين ، واضطرمت المصادمات بين العرب و اليهود . وسافر وفد اللجنة التنفيذية لمؤتمر فلسطين العربي واتصل بالحكومة البريطانية ، وقد رفضت طلبات الوفد العربي الخاصة بوقف الهجرة وسن تشريع لمنع انتقال لأراضي التي يملكها العرب إلى اليهود ، وتأليف حكومة وطنية يشترك فيها أهلا البلاد بنسبتهم العددية . و بهذا الرفض دعت اللجنة التنفيذية العربية أهل البلاد إلى الإضراب العام لتأييد عروبة فلسطين ، واستنكار السياسة الإنجليزية الصهيونية[1] .

ط- جمهورية مصر العربية :

شهد الشرق العربي عقب الحرب العالمية الأولى يقظة عامة وتبين له أن العبارات التي رددها الحلفاء أثناء الحرب قد تمخضت عن روح استعمارية آثمة ، ولا تتفق إطلاقاً على ما استقر علية الوعي العربي من عزم على التحرير .

وأحس المصريون بعد أن شاهدوا السوريين وغيرهم من الشعوب العربية يرسلون وفودهم إلى باريس أثناء انعقاد مؤتمر الصلح ، بضرورة الإسراع في عرض مطالبهم على الضمير العالمي . إلا أنه لم يسمح للوفد المصري بالسفر إلى مؤتمر الصلح ، وبدأت الإضرابات والاضطرابات

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٥٨ – ٣١٦ ، وص٤٥٧ – ٤٦٣ .

وحـــركات العـــنف والتدمير ، وألقي القبض على الزعماء المصريين برئاسة ســـعد زغلـــول ، وقامـــت الحكومـــة البريطانية بنفيهم إلى مالطة . وتولت محـــاولات الحكومـــة البريطانية لتهدئة الحالة عبثاً إلى أن اضطرت إلى أن تعـــترف بإنهـــاء الحمايـــة واســـتقلال مصـــر مع أربعة تحفظات خاصة : بالمواصلات البريطانية ، وبالدفاع عن مصر ، وبحماية الأجانب والأقليات ، وبالسودان ، وقد قبلها المصريون كقسط من أقساط الاستقلال .

ي- جمهورية السودان :

إن المراحل الأخيرة لتاريخ السودان العربي بدأت من القرن الخامس الهجـــري عـــندما احتل العرب شمال السودان والمنطقة الساحلية على لبحر الأحمر في الجنوب الشرقي . استمر استعراب شمال السودان وجنوبه الشرقي طـــوال القـــرن السادس الهجري . وفي القرن الثامن الهجري ظل كل ساحل البحر الأحمر الغربي في السودان عربياً . وتقدم المصريون في عهد المماليك جنوباً في النوبة فاتسعت رقعة السودان الشمالي التي ضمت إلى مصر . وظل النفوذ العربي مستقراً في السودان إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري .

وفـــي بدايـــة القرن الرابع عشر الهجري أرغمت الحكومة البريطانية الحكومة المصرية على توقيع اتفاقية الحكم الثنائي في السودان ، وأن يستعمل العلـــم البريطاني والعلم المصري معاً في البر والبحر بجميع أنحاء السودان . كما نصت الاتفاقية على تفويض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية إلى موظف

واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ، ويكون تعيينه بأمر الخديوي في مصر بناء على طلب حكومة بريطانيا[1] .

ك- الجماهيرية الليبية :

تم فتحها بعد فتح مصر من قبل قادة الفتوحات الإسلامية ، وكانت ليبيا وتونس والجزائر الشرقية تجمعها وحدة سياسية وإدارية ظلت خاضعة للعباسيين ثم لبني الأغلب ثم للفاطميين . ففي القرن الرابع الهجري انفصلت طرابلس عن تلك الوحدة وأصبحت تابعة للدولة الفاطمية حتى اجتاحها عرب بني هلال وبني سليم ، وفي القرن العاشر الهجري حكمها موحدو المغرب . وتمت وحدتها مع مصر تحت حكم الأيوبيين وحكم المماليك البحرية . وفي القرن العاشر الهجري حكمتها الدولة العثمانية حتى بداية القرن الرابع عشر تقريبًا عندما هاجمتها إيطاليا . إلا أن الفرنسيين والبريطانيين حكموها بعد ذلك من قبل هيئة الأمم المتحدة .

ل- الجمهورية التونسية :

عقب الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا والدويلات التي نشأت ، ومن تلك الدويلات بنو المهلب والأغالبة والصنهاجية والحفصية حتى استولت عليها الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع الهجري . وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري استولت فرنسا على تونس بزعم حماية رعاياها وأرغمت تونس على توقيع معاهدة أفقدتها سيادتها .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٨٩ – ٣٩٨ ، وص٥٠١ – ٥٠٥ .

م- الجمهورية الجزائرية :

بعد الفتح العربي الإسلامي ظلت الجزائر تحت حكم الأمويين والعباسيين حتى القرن الثالث الهجري عندما ضمها بنو الأغلب إلى تونس ثم خضعت بعد ذلك لحكم الفاطميين . ثم خضعت لحكم موحدي المغرب ، حتى استقلت الأسرة الزيانية بحكم الجزائر إلى أن استفحل أمر الدولة العثمانية ، وخضعت الجزائر في القرن العاشر الهجري للحكم التركي . واستولى الفرنسيون عليها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، وقد تولى عبد القادر الجزائري ، زعامة العرب الجزائريين وبرغم نفيه من قبل فرنسا لم يهدأ الجهاد العربي في الجزائر . وبعد تلك المراحل التي دلت على يقظة الوعي العربي اتجهت السياسة الاستعمارية إلى فكرة الاتحاد الفرنسي أي عد الجزائر الأرض العربية جزءًا من الدولة الفرنسية .

ن- المملكة المغربية :

تقع عند مدخل البحر الأبيض المتوسط في نقطة جغرافية وعسكرية لم يكن مناص من أن تجعل منها همزة وصل بين الشرق والغرب ، بين إفريقيا وأوروبا وأمريكا . وإن أول أسرة عربية مسلمة حاكمة في المغرب كانت أسرة « الأدارسة » في القرن الثاني الهجري ، واتخذت فاس عاصمة لها بعد أن وحدت عددًا من القبائل ، وأرست أول قاعدة في وحدة المغرب السياسية والدينية . وإن ثاني أسرة حاكمة في المغرب كانت أسرة « المرابطين » ، وقد أسس زعميهم « يوسف بن تاشفين » في نهاية القرن الرابع الهجري مراكش واتخذها عاصمة له .

والأسرة المغربية الثالثة هي أسرة « الموحدين » التي أسسها في القرن الخامس الهجري ابن « تومرت » . وفي عهد خلفه « عبد المؤمن » أسس أكبر إمبراطورية إسلامية عربية في المغرب ضمت الجزائر وتونس وليبيا ، واتخذ الـرباط عاصمة له . والأسرة المغربية الرابعة هي أسرة « بن مرين » التي أسسـها « أبو يحيى » في النصف الأخير من القرن العاشر الهجري واستمر حكمها قرنين . ثم أسرة « الأشراف السعديين » التي أسسها «محمد القائم بأمر الله »فـي القرن العاشر الهجري بعد أن طرد البرتغاليين من مراكش واتخذها عاصـمة له ، وعني بتقوية حصونه لدرء خطر غزو الأتراك الذين كانوا إذ ذاك قد احتلوا سائر شمال إفريقيا .

وأخيرًا « الأسرية العلوية » التي ينتمي إليها الملك محمد السادس ملك المغرب وتسمى العلوية نسبة إلى علي بن أبي طالب جدها الأعلى . وإن أول ملـوك هـذه الأسـرة مـولاي « الرشـيد بـن الشريف » الذي أسسها في القـرن الحادي عشر الهجري واتخذ مكناس عاصمة له وتمكن خلفه مولاي « إسـماعيل » مـن تحريـر العـرائس وأصيلاً من الأسبانيين واسترد سيادة المغـرب على طنجة بعد إجلاء البريطانيين . وفي نهاية القرن الثالث عشر تغلبـت القوات الأسبانية على المغرب في موقعة « تطوان » وفرضت أسبانيا على المغرب معاهدة قاسية .

وفـي القرن الرابع عشر الهجري وقعت معاهدة بين المغرب وفرنسا والتي بمقتضاها أرغمت فرنسا هذا القطر العربي أن يخضع لحمايتها . ولقد تمـرد المغاربة على الاستعمار الفرنسي وأخذوا يتعقبون الفرنسيين ويفتكون

بهـم ، واستمرت حركة المقاومة التي كلفت الفرنسيين جهدًا عظيمًا وخسائر فادحة إلى أن بدأت الحرب العالمية الأولى[1] .

٢- الأحـداث العالمـية أثـناء بداية تكوين الدولة السعودية الثالثة :

كانت أوروبا الاستعمارية تتجه بأنظارها وأطماعها إلى أملاك الدولة العثمانـية إلا أن السـيادة التركية بقيت نتيجة لاختلاف الدول الأوروبية في مطامعها على تقسيم هذه الممتلكات المترامية الأطراف . ولتخوف الحكومتين البريطانـية والفرنسـية مـن الـنفوذ الروسي كقوة جديدة تقف حائلاً دون مآربهمـا . وفـي مطلـع القرن الرابع عشر الهجري ظهرت الإمبراطورية الألمانـية كقوة جديدة تهدد أوروبا وتقضي على مطامعها . وعندما أصبحت ألمانـيا الدولـة العسكرية القوية مما غير توازن القوي بأوروبا ، شجع ذلك فرنسا للتحالف مع عدوتها روسيا ، أما بريطانيا فلم تمل لأحد الفريقين .

هـذا الموقـف وما تعيشه القوات العسكرية على الساحة الدولية دفع ألمانيا إلى أن تركز على القوة البحرية للدخول مع بريطانيا في منافسة بحرية حـتى تستطيع النفاذ إلى مناطق تشملها القوة البريطانية وتقع تحت حمايتها . مما دفع بريطانيا إلى عقد اتفاق عسكري دخل تحته كل من روسيا من جهة ، وفرنسـا وبريطانيا من جهة أخرى . هذه الأحداث المحيطة بالدولة العثمانية نتج عنها رد فعل قوي ، إذ قام بعض الضباط الأتراك بتكوين جمعية « تركيا

---

(١) الدولة العربية الكبرى ، محمود كامل المحامي ، ص٥٠٥ – ٥٣٩ .

الفـتاة » وسـيطر أفرادها على مقاليد الحكم . وبدأت بوادر الحرب باستيلاء إيطاليا على ليبيا وجزيرة رودس ، وحاولت تركيا الحصول على مساعدة من بريطانيا بالرغم من اقتطاع بريطانيا جزءًا مهما من ممتلكات الدولة العثمانية يتمثل في : مصر ، والسودان ، وجزيرة قبرص . لكن بريطانيا امتنعت عن تقديم أي مساعدة لتركيا ، فاتجهت إلى ألمانيا القوية عسكريًا لتحميها من شر روسيا التي باتت مصدر قلق وموطن إزعاج لها .

أعلنـت دول الـبلقان الحـرب على ألمانيا ، وقد تم استقطاع معظم الأراضي التركية التي في أوروبا للبلقان . وتلا ذلك الحروب البلقانية الثانية التـي انتهت باستعادة تركيا أراضيها المأخوذة في الحرب السابقة . وأن هذا غـير عائد لقوة تركيا الحربية ، وإنما هو بسبب ظروف مواتية حيث يتنازع الحلفاء البلقانيون فيما بينهم على اقتسام الغنائم فأضاعوا ما بأيديهم .

استمرت الأحداث على أشدها إلى أن تفجرت الأوضاع وقامت الحرب العالمية الأولى ، وأعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا ثم على النمسا . وخلال هـذه الأحداث أعلنت تركيا التعبئة العامة لقواتها لمجابهة أي اعتداء خارجي علـى أراضـيها . وأصـدر الحلفـاء إنذارًا لتركيا بضرورة إبعاد التعبئتين الألمانيتيـن البحرية والبرية عن أراضيها . عندما رفضت تركيا هذا المطلب تأهبت البحرية البريطانية لقتال تركيا .

لكن بريطانيا وقبل الدخول في الحرب فكرت في إرسال قوات للدفاع عـن مستعمراتها في مصر وإيران خشية تسلط الدولة التركية وحلفائها على المستعمرات المهمة في الخليج العربي أو النفاذ إلى مصادر البترول في إيران

وتهديـــد حـــرية الملاحة في قناة السويس الشريان الحيوي لبريطانيا والممر المائـــي لهـــا . كما توقعت بريطانيا حدوث قلاقل واضطرابات بين المسلمين الـــذي يعيشون في مستعمراتها للتعاطف مع تركيا المسلمة مما دفع الحكومة البريطانية إلى تعزيز مستعمراتها بقوات كبيرة .

وقـــد نشـــبت الحرب العالمية الأولى ، وفي الجولة الأولى انتصرت تركـــيا وألمانـــيا لكن كفة بريطانيا رجحت نتيجة لهزيمة تركيا وسقوط بيت المقـــدس . ونتج عن هذا انخفاض الروح المعنوية للقوات والشعب التركي ، ولم يبق بيدها سوى المدينة المنورة التي كانت محاصرة بالقوات العربية حين رفع الشريف الحسين من مكة راية الثورة العربية .

إن الهدف من هذه اللمحة التاريخية الموجزة للأحداث العالمية للفترة السابقة للحرب العالمية الأولى وأثناء دورانها هو إيضاح العوامل الناجمة عنها . وكذا الأحداث التي واكبت سير العمليات في المحيط الدولي أثناء قيام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بحركته الأولى . إلى أن استرد ملك آبائه وأجداده ووحد الجزيرة العربية بشخصيته الفذة وطموحه الوثاب[1] .

---

(١) الإستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ، للمؤلف ، ص ١٨٩ – ١٩٨ .

معارك الملك عبد العزيز الحربية

لمـــا بلغ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عشرين سنة من عمـــره – وبما أنعم الله عليه وبما ميزه عن غيره وهيأه لأمور عظيمة حيث كـــان يمـــتاز عـــن رفاقـــه مـــن حيـــث التكوين الجسماني والهيئة الطبيعية والفروســـية – تمكن بما وهبه الله من صفات من أن يجتذب إليه مجموعة لها وزنها من الأتباع الشخصيين ، واستعادة ما سلب .

وقـــد اســـتفاد الملك عبد العزيز من مكوثه في الكويت بجانب الأمير مبارك الصباح يشاركه في مباحثاته ومجالسه التي تتفاعل فيها الآراء ، وكان يتوســـم فـــي عبد العزيز سيماء النجابة ، ويحس في توقد ذهنه أملاً مرتقبًا ، فعبد العزيز الذي تتطلع نفسه للسمو والرفعة كان يستمد آراءه من والده الإمام عـــبد الرحمـــن الذي كان ملازمًا له وجرب الأمور وسبر غورها ، والأمير مـــبارك الـــذي يمـــتاز بالرأي الصائب والنظرة العميقة للأمور . فكان هذان الشيخان بتجاربهما ونصائحهما مدرسة متكاملة لعبد العزيز حيث كانا يرعيانه ويتوقعان النصر على يديه .

كانـــت الدولة العثمانية قد أخذت في اعتبارها أن الجزيرة العربية قد خضـــعت لســـلطانها بعد تفكك دولة آل سعود وابتعاد قادتها . إلا أن شكوك العثمانيين بدأت تحوم حول الشيخ مبارك الذي لمسوا منه خروجًا على الطاعة حيث كان في معاملته يجاملهم لكنه يتقرب من أعدائهم الإنجليز . فبدأت تركيا تفكـــر فـــي الانتقام من أمير الكويت دون أن تصطدم مباشرة مع الإنجليز ، فأوعـــزت إلـــى ابن الرشيد أمير حائل بالوقوف ضد أمير الكويت ، وأمدته

بالســـلاح والمال والرجال ، فوافق ذلك هوى في نفسه حيث كان طامعًا في الكويـــت . وهـــذه الحادثة كانت بارقة أمل لعبد العزيز في محاولته لاسترداد الـــرياض في الوقت الذي ينشغل فيه ابن الرشيد بحرب مبارك . وقد استشار والده الإمام عبد الرحمن والشيخ مبارك فشجعاه ، وتتلخص معارك الملك عبد العزيز الحربية ونتائجها الاستراتيجية في التالي :

أ- معركة الرياض الأولى :

خـــرج عـــبد العزيز من الكويت مع والده والشيخ مبارك في استعداد لملاقـــاة ابـــن رشيد ، وقد عرض على الشيخ مبارك خطة حربية تعينه في التغلب على خصمه وتشتت قوته . وهي أن ينفرد بقوة يتجه بها إلى الرياض فـــيداهمها ، فيضـــطر ابن الرشيد أن يقاتل جيشين في مكانين مختلفين . وقد وافـــق الشـــيخ مـــبارك على هذه الخطة التي تدل على ذكاء ومعرفة بشئون القـــتال ، فـــانطلق عـــبد العزيـــز ومعه بضع مئات من المقاتلين متجهًا إلى الرياض . وكانت هذه تعتبر الركيزة الأولى التي أعطت عبد العزيز الثقة في نفســـه واســـتغل ثمارها فيما بعد كعملية استطلاع بالقوة استفاد منها لمواصلة الكره مرة أخرى لاحتلال الرياض . وقد تميزت هذه المحاولة بشكل الصراع المســـلح بيـــن عبد العزيز آل سعود وآل الرشيد بقيادة واليه على الرياض . واســـتطاع عـــبد العزيز اقتحام سور الرياض متتبعًا حاميه ابن الرشيد حتى حاصرها بقصر المصمك ، ولم يفك هذا الحصار إلا بعد وصول أنباء هزيمة مبارك الصباح في معركة الصريف . كما وصلت رسالة الإمام عبد الرحمن لابنه عبد العزيز يستحثه بترك حصار الرياض والتوجه إلى الكويت ، ولكنها

نجحت كوسيلة استطلاع أمكن استغلال نتائجها الاستراتيجية والتعبوية في حملته الثانية على الرياض[1] .

ب- معركة الرياض الثانية :

أفادت معركة الرياض الأولى عبد العزيز في الاطلاع عن كثب على طبوغرافية الرياض وأعطته المعرفة الكاملة لدفاعاتها وكيفية احتلالها . وقد عرض على والده والشيخ مبارك القيام بمغامرة جديدة تبدو في ظاهرها لتأليب القبائل على ابن الرشيد ، وفي باطنها مغامرة جريئة لمحاولة احتلال الرياض واقتحام حصنها والقضاء على حاكمها عجلان . وقد واف والده والشيخ مبارك على إعطائه بعض المؤن وترك موضوع الرجال لمن يريد أن يخاطر بنفسه مع عبد العزيز ، فتجمع معه أربعون رجلاً يتقدمهم أخوه محمد وبعض أبناء عمومته وأقرانه المقربين . قرر عبد العزيز أن يستخدم أسلوب الحرب الخاطفة ويجب أن يعد لها خطة اقتحام تعتمد على المفاجأة بعد أن عرف تحصينات قلعة الرياض . وتركزت على استخدام عنصر المفاجأة التعبوية للوصول إلى الرياض ودخولها دون أن يشعر به الخصم ، واختيار أنسب الأوقات بحيث يكون التوقيت في مدة يطول فيها الليل عن النهار ، يكون الجو باردًا والقمر غائبًا . واشتملت الخطة على استخدام مبدأ الضرب مع الحركة

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ترجمة د/عبد الله العثيمين ، ص٣٧ – ٤٣ .
أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحربه العميد ، أ/ ح محمد رحمو ، ص٤٥ – ٥٦ .

أثـــناء المطاردة القصيرة التي يتم فيها الإجهاز على الرياض ثم المناداة باسم عبد العزيز حاكمًا للرياض[1] .

قســـم عـــبد العزيـــز عناصر القوة الرئيسية (الأربعين مقاتلاً) إلى نســـقين : الأول تحت قيادته ، والثاني تحت قيادة أخيه محمد بن عبد الرحمن وأمرهم بالبقاء مختفين بالنخيل المحيطة بالرياض . تحرك عبد العزيز ودخل الـــرياض عـــن طريق الفتحات في سور الرياض باتجاه القلعة (المصمك) بهدف اقتحامها والقضاء على حاميتها .

ورأى عبد العزيز أنه لم يبق بينه وبين هدفه شيء ، فأرسل في طلب النسق الثاني بقيادة أخيه محمد وبعد وصوله اطمأن عبد العزيز بأنه لم يكتشف أمـــرهم . تمكـــن عـــبد العزيـــز مـــن الاستيلاء على القلعة بعد قتل أميرها ابـــن عجلان واستسلام حاميتها . وانتهت معركة احتلال الرياض ونودي من أعلى برج في القلعة أن الملك لله ثم لعبد العزيز بن آل سعود .

جـــ- معركة الدلم :

ســـميت هذه المعركة الدلم نسبة إلى المكان الذي دارت أحداثها فيه ، والدلـــم حينـــئذ كانت عاصمة الخرج . وتعتبر هذه المعركة من أهم معارك توحـــيد المملكة ، وتعتبر المعركة الأولى التي التقى فيها طرفا النزاع وجهًا لوجه على رأس جيشين متحاربين .

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ترجمة د/عبد الله العثيمين ، ص٣٧ – ٤٣ . شـــبه الجزيـــرة العربـــية فـــي عهـــد الملـــك عـــبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، جـــ١ ص ٧٩ – ١٠٠ وص١٢٥ وص١٢٨ .

وأن هذه المعركة وما تمخض عنها من انتصار لقوة عبد العزيز على قـــوة منافسه ابن رشيد ، قد تركت آثارًا نفسية وتغيرًا مهما في المفاهيم على السكان من حضر وبدو ، وقد جنى الطرفان نتائجهما فيما لحق من أحداث .

إن الأســـلوب الذي انتهجه عبد العزيز آل سعود في معاركه يظهر ما يتمتع به من صفات جمعت بين الشجاعة وسلامة التخطيط ، وبالوعي وحسن الـــتقدير للموقـــف . وقد حقق باتصالاته على كسب الأنصار مهنئه ومبايعة داعمة ، وكان استغلاله المتمثل في التأييد وإظهار الولاء استغلالاً جيدًا . كما اهـــتم فـــي وضع خطته الدفاعية والاستعداد لملاقاة خصمه ، وهو يدرك أنه على الرغم من تحسين وضعه السياسي والعسكري ، فإن خصمه ما زال يملك مـــن أســـباب القوة السياسية والعسكرية الشيء الكثير الذي لا يستطيع حينئذ مجاراته فيه .

وللتغلب على هذا الخلل في ميزان القوى وضع خطة دفاعية لتحصين الرياض ضد أي هجوم . وبعبقريته العسكرية ونظرته الاستراتيجية الفذة قرر أن بقـــاءه فـــي الرياض ونشوب المعركة فيها قد يعرضها للحصار واحتمال السقوط في أيدي القوة المهاجمة . وبالتالي إلى الانغلاق داخل أسوار الرياض ممـــا يحد من حركته واتصاله بأنصاره ومؤيديه ، وكذا توسعة مجال العمق الدفاعي عن الرياض عاصمته .

لهـــذه الاعتبارات اتخذ عبد العزيز يرحمه الله قراره بمغادرة الرياض والـــتوجه إلى الخرج والمناطق المجاورة لها بعد دراسته لمختلف الاحتمالات مـــثل : لو وقع هجوم على الرياض فإنه لا يدعو إلى القلق والخوف لصمود

الدفاع عنها بوجود ألف مقاتل ، والقيادة المتمثلة في والده ، والعمق الدفاعي المتمثل في منطقة جنوب نجد . ولتوفر هذه المزايا العسكرية للرياض فبإمكانها الصمود لفترة من الزمن يتمكن خلالها عبد العزيز من نجدتها وفك الحصار عنها . ولما سبق فإن قرار عبد العزيز بخروجه من الرياض وتوجهه إلى الخرج قد خطط له تخطيطًا سليمًا وقصد منه : استدراج خصمه إلى معقله في جنوب نجد حيث القوة والأنصار ، وحماية ظهره بصحراء الأفلاج والربع الخالي ، إضافة إلى إطالة خطوط مواصلات خصمه مع جعل الرياض مصدر تهديد لمؤخرة قوات خصمه وقطع إمداداته .

وهكذا نجد خطة الملك عبد العزيز يرحمه الله الدفاعية قد تضمنت عناصر إيجابية ممتازة سواء كان ذلك بالنسبة لاختيار مكان المعركة أو التخطيط الناجح لاستدراج الخصم إلى المكان المختار ، وما تم اتخاذه أثناء سير المعركة من إجراءات ذات دلالة على وضوح الرؤية ودقة التخطيط واستغلال الإمكانات المتاحة ، كل هذه الأمور انعكست على نتيجة المعركة . بدأت المعركة وما أن وصلت قوات ابن رشيد إلى المدى المؤثر للأسلحة المتوفرة مع الملك عبد العزيز حتى أطلقت عليهم نيرانها فتراجعوا مفزوعين بغير انتظام .

وقامت مفرزة من قوات الملك عبد العزيز بشن هجوم مضاد على أحد أجنحة قوة ابن رشيد ، وتمكنت من إيقاع خسائر كبيرة في قوة الخصم مما اضطرهم إلى الانسحاب . وانتهت معركة الدلم بانتصار الملك عبد العزيز وهزيمة ابن الرشيد .

د- معركة القصيم :

تحتل منطقة القصيم موقعًا مهمًا بالنسبة إلى طرفي النزاع ابن الرشيد وابن سعود ، وذلك لتوسطها بين عاصمتي القوتين الرياض وحائل ، ولوفرة مواردهـــا الزراعية وكثرة سكانها . لذلك فإن ولاءها وانضمامها إلى أي من طرفي النزاع سيكون له دور في ترجيح كفته .

فبعد أن تمكن الملك عبد العزيز من استرداد الرياض بدأ في تحصينها والعمـــل علـــى توسيع مناطق نفوذه خصوصًا بعد هزيمة خصمه في معارك الدلم وانسحابه من منقطة الرياض[1] . هذه الأحداث أعطت الملك عبد العزيز ثقة وتصميمًا في ملاحقة خصمه ، واستخلاص أقاليم نجد من نفوذه واحدًا تلو الآخـــر فـــي عدة مصادمات ومعارك أبرزها : معركة البكيرية ، والشنانة ، وأخيرًا روضة مهنا حيث قضى على خصمه القوي .

فـــبعد النصـــر الـــذي حققه الملك عبد العزيز في معارك البكيرية ، والشنانة ، والخبراء ظهرت جليًا قوة موقفه ورجحان كفته في هذا الصراع . وبدأت الدول ذات النفوذ في شبه الجزيرة العربية تركيا وبريطانيا في محاولة كسب الملك عبد العزيز إلى جانبها . فطلبت الدولة التركية إجراء مفاوضات معه فوافق على ذلك . وفعلاً تمت المقابلة واستعمل الملك عبد العزيز حنكته السياســـية ودهـــاءه فـــي ذلك الاجتماع لإحباط جميع المطامع ، فقبل مبدئيًا العـــرض التركـــي شـــريطة عرضـــه علـــى والـــده الإمـــام وموافقـــته .

---

(١) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، ص١٤٥ – ١٨٠ .

وكـــان العـــرض التركـــي يقضي بالصلح بين ابن سعود وابن الرشيد وجعل القصـــيم منطقة عازلة بين المتصارعين ومحايدة ، ووضع قوة تركية للفصل بيـــنهما ، إلا أن هذا الطلب ووجه بالرفض من الملك عبد العزيز . فمعركة روضة مهنا تقع في نهاية كثبان رمال الثويرات الغربية التي تمتد من الشرق بارتفاعـــات متفاوتة تحتوي على بعض الرياض المحاطة بالكثبان التي تتوفر فيها بعض النباتات والشجيرات الصغيرة .

أما عن سير المعركة فبعد أن أنهى ابن الرشيد غاراته قرر المبيت في روضة مهنا في أرض تحيط بها الرمال من الجنوب والشرق ، أمر أن تتوزع قواته وأن تشعل النيران للإيهام بالكثرة والتيقظ .

وكـــان الملك عبد العزيز يتابع أخبار خصمه وملاحقته ، ويتابعه من جـــنوب الكثـــبان مـــتخذًا من الحذر والاختفاء وسيلة لعدم كشفه . وفي الثلث الأخـــير مـــن الليل كان الملك عبد العزيز قد أعد ترتيباته للقيام بهجوم ليلي خـــاطف علـــى معســـكر خصمه مستفيدًا من ستر الظلام . وفعلاً سار نحو معســـكر ابـــن الرشـــيد الذي يغط معظمه في بيات والذي لم يكن يتوقع أي هجـــوم ، واندفعت قوته نحو موقع خصمه خيمة « ابن رشيد » الذي أفاق من نومـــه وهو لا يميز بين العدو من الصديق . حيث أطلقت عليه النيران وخر صـــريعًا بينما قواته المنتشرة حول معسكره والتي فوجئت بالغارة والمباغتة الليلية يأخذون طريقهم طلبًا للنجاة تاركين معظم أسلابهم ومؤنهم واتجهوا إلى حائل .

هـ- معركة الأحساء :

منطقة الأحساء هي ما تسمى في الوقت الحاضر بالمنطقة الشرقية ، وهي عبارة عن السهل الساحلي الغربي للخليج العربي الممتد شمالاً إلى الكويت وجنوبًا إلى قطر وغربًا إلى الدهناء . وهي منطقة تتمتع بعدة مميزات طبيعية أهمها : الموقع الاستراتيجي لاتصالها بالعالم الخارجي ، وكذا وفرة مياهها وما ينتج عن ذلك من ازدهار للزراعة وكثرة أشجار النخيل وما تنتجه من تمور . لقد تمكن الملك عبد العزيز في الفترة التي سبقت استعادته الأحساء من بسط سلطته نفوذه على معظم منطقة نجد .

وكان تفكيره وجهده حينئذ منصبين على توطيد وترسيخ حكمه على المناطق التي تمت استعادته لها من جهة ، والتخطيط من جهة ثانية من أجل تحقيق طموحاته المتمثلة في استعادة السيطرة على جميع الأراضي التي كانت في الماضي تخضع لحكم أجداده .

ونتيجة للظروف المحيطة به آنذاك والمستجدات المحلية والإقليمية والدولية قويت عزيمته وعزز ثقته في محاولة استعادة الأحساء وطرد الأتراك منها وضمها إلى إمارته . إلا أن الوضع الدولي المؤثر في المنطقة آنذاك يتمثل في دولتين كبيرتين هما : بريطانيا وتركيا الأمر الذي جعل الملك عبد العزيز يتريث في اتخاذ قراره ، ويتحين الفرصة المواتية للعوامل التالية :

١- كان الإنجليز يسيطرون على الممرات المائية ذات الأهمية الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط ، ويسيطرون على معظم الخليج

العربـــي وســـواحله ومضيق هرمز البالغ الأهمية . وكان الملك عبد العزيز يدرك ما لبريطانيا من نفوذ على المنطقة ،ونتيجة لذلك كانت له اتصالات بهم لكسب تأييدهم وحمايتهم عندما يبدأ في تنفيذ خطته الهادفة إلى الاستيلاء على الأحساء .

ولكـــن البريطانيين لم يكونوا مستعدين لمساندته في طرد الأتراك من الأحســـاء ، وذلك يرجع إلى عدة اعتبارات منها : اعترافهم بالسلطة العثمانية فـــي أواسط الجزيرة العربية ، ومفاوضة الحكومة البريطانية آنذاك الحكومة العثمانية على تحديد مناطق السيادة والنفوذ في الخليج العربي . وأنها لا تؤيد ظهور دولة عربية قوية في المنطقة ، وتفضل بقاء الإمارات العربية ضعيفة حتى يمكن السيطرة عليها .

٢- الدولـــة العثمانية كانت ذا نفوذ في المنطقة وأي خطوة توجه إلى المساس أو التقليص من نفوذها ستفشل إذا لم تحظ بتأييد دولة كبرى من الدول المنافســـة لها . وكان الملك عبد العزيز يدرك هذه الحقيقة ، وعلى الرغم من المشـــاكل المحلية والإقليمية التي عانى منها وكانت في كثير من الأحيان تتم بتدبـــير وتحـــريض من الدولة العثمانية . بقي الملك عبد العزيز في انتظار وترقـــب حتى لاحت في الأفق بوادر انفراج نتيجة لمتغيرات حدثت وكان لها تأثـــير علـــى الدولة العثمانية . فقد منيت بهزيمتين في حربها مع الإيطاليين وفقدها ليبيا ، كما انهزمت قواتها أثناء حربها مع دول البلقان . كل ذلك شجع الملك عبد العزيز على التقدم لتنفيذ خطته في استعادة الأحساء على الرغم من عدم التمكن من الحصول على التأييد الإنجليزي المرغوب[1] .

---

(١) المرجع السابق ، جـــ١ ص٢٠١ – ٢٢٢ وص٣٢٠ – ٣٢٣ .

فالملك عبد العزيز لم تكن لديه قوة نظامية ، وكان يعتمد في معاركه بعد الله على المعين الذي لا ينضب من الرجال الذين يتقدمون طواعية لخوض المعـــارك التـــي يقودهـــا ، مدفوعين إلى ذلك بدوافع دينية ووطنية وثقة في الشخصـــية القـــيادية والحنكة السياسية التي يتمتع بها . وبعد فشل محاولاته المـــتكررة الهادفة إلى الحصول على تأييد ومساندة الدولة البريطانية ، بدأ في تنفـــيذ خطـــته معتمدًا على ما توفر لديه من قوة ذاتية . وأخذ جانب الحيطة والحـــذر مستغلاً جميع الإمكانات المتوفرة والظروف الملائمة من أجل خطة دقـــيقة متكاملة تضمن له الانتصار وتحقيق هدفه . لذا كان لابد من استخدام أساليب الخداع التي يمكن بواسطتها تضليل القوات التركية عن معرفة الهدف الحقيقـــي لتحركاته . فبدلاً من أن يتجه الملك عبد العزيز بقواته إلى الأحساء توجـــه إلى الخرج وأقام مدة تزيد على الشهرين ، وقد أشاع بأن هدف حملته هو تأديب بعض القبائل الخارجة عليه . وقد باشر بالفعل شن بعض الغارات على هذه القبائل ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى صرف الأنظار عن اكتشاف مخططـــه الحقيقي . فإذا شعر بحدوث شيء من الريبة لدى الأتراك نجح في تـــبديد هـــذه الشـــكوك . ونتيجة لضعف سلطة الأتراك وانكماشها داخل مدن الأحساء والقطيف ساءت الحالة الأمنية ، وأصبح القوي هو المتحكم في زمام الأمـــور . وبحكـــم مـــا اتصـــفت به قبيلة العجمان من قوة ونفوذ في منطقة الأحساء لذلك فإنهم من منطلق مصالحهم لن يباركوا أي محاولة يبذلها الملك عـــبد العزيـــز لضم الأحساء إلى دولته . وأن مثل هذه الأمور لا تخفى عليه وهـــو مـــن عرف عنه الاتصاف بالحنكة السياسية والدراية العسكرية في كل معاركـــه الســـابقة ، فقـــد وجـــد الطـــريقة التي يمكن إبعادهم بها مؤقتًا عن الأحســـاء . فهو يعرف ما بينهم وبين قبيلة مطير من العداء لذلك اتفق معهم

علـــى محاربـــة مطير ، وضرب بهم موعدًا وحدد مكان اللقاء فخرجوا من مـــنطقة الأحســـاء ، وبـــذا تمكن من إبعادهم عن المكان الذي ينوي مهاجمته واستعادته .

اهـــتم الملك عبد العزيز بالحصول على معلومات عن الأتراك بإيفاد أشخاص متسترين ، واستطاع بواسطتهم أن يتعرف على بعض الأمور المهمة التي أفادته أثناء وضع خطة مهاجمة الأتراك في الأحساء . وعلى ضوء هذه المعلومـــات وإمكاناتـــه اســـتبعد الاشـــتباك المباشـــر مع الخصم أو الهجوم بالمواجهة ، وأن أنسب وقت للهجوم يكون أثناء الليل ، واختار أفضل الطرق للاقـــتراب ، وتوزيـــع قواتـــه توزيعًا دقيقًا يشتمل على قوات المهمة وقوات الاحتياط . وبدراسته التفصيلية لوضع الأتراك في الأحساء ووضع السكان من حضر وبدو أدى ذلك إلى معرفته الشاملة لكل دقائق الأمور . مكنته من وضع خطة ناجحة استطاع من خلالها أن يستعيد الأحساء دون إراقة دماء أو تدمير شيء من الممتلكات[1] .

لقـــد حقـــق الملـــك عـــبد العزيز في هذه المعركة الكثير من النتائج الاستراتيجية التي تدل على ما يتمتع به من بعد نظر للأمور مكنه من تحقيق هـــدف اســـتراتيجية السياســـية وخـــبرته ودرايـــته بالاستراتيجية العسكرية والتعبوية . وإن ما حققه في معركة الأحساء لم يكن مجرد مصادفة وإنما كان نتيجة مدروسة وضعها بوعي وإدراك فجاءت نتائجها مكللة بالنجاح .

---

(١) شـــبه الجزيـــرة العربـــية فـــي عهـــد الملـــك عـــبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، جـــ١ ص٢٣ – ٣٢٣ . أمـــراء وغـــزاة ، د/عبد العزيز بن عبد الغني إبراهيم ، ص١٩ . تاريخ ملوك آل سعود ، سعود بن هذلول ص٩٨ .

و- معركة التربة :

كانت الدولة العثمانية قد ولت الشريف حسين بن علي إمارة الحجاز ، وكـــان لديـــه نزعة قوية إلى الإستقلال عن الدولة العثمانية . ولم يتورع عن الـــتحالف مـــع الإنجليز في الحرب العالمية الأولى ضد الأتراك على أن يتم الاعـــتراف بـــه ملكًا على العرب . لذا كان ينظر إلى أمراء الجزيرة العربية جميعًا على أنهم في حكم التابعين له .

فـــبعد أن نجـــح الملك عبد العزيز في استعادة الرياض ، وإقامة نظام سياســـي يستند فيه على ما يعتبره حقه التاريخي كسليل للأسرة السعودي التي تمكنـــت من إخضاع نجد وبعض أجزاء من الجزيرة العربية لنفوذها ، بدافع التأكـــيد علـــى مبادئ السلف الصالح . كان الرجلان على جانب من الطموح والاعتزاز بماضيهما وتاريخ أسرتيهما مما جعل المنافسة على زعامة الجزيرة العربية تأخذ جل اهتمامهما . إضافة إلى العداء التاريخي بين أسرتيهما ، وهو الذي نشأ مع الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى .

وكـــان القـــتال سجالاً بين الفريقين ، وكانت بريطانيا وتركيا تراقبان هذين الزعيمين وتتوقعان دخولهما في صراع مرير . وازداد حقد الحسين بن علي على عبد العزيز بن عبد الرحمن وخاف على نفسه وملكه من هذا الفتى الناهض بسرعة ، المهيأ لكل أسباب الزعامة الدينية والسياسية . وبالرغم من ذلـــك تم تبادل الرسائل والوفود بينهما وشبه اعترافهما بسلطات كل منهما إلا أن مشـــكلة تـــربة والخرمة ، بقيت ميدانًا للتنافس بينهما . مما دفع بالشريف الحســـين إلى إرسال أكثر من حملة مسلحة إليهما ، ولكن الأخوان بقيادة خالد

ابـــن لؤي الذي تزعم التمرد ضد ابن عمه الشريف الحسين نجحوا في تكبيد هذه الحملات خسائر كبيرة . وقد دفعت تلك الهزائم الشريف الحسين إلى حشد أكبر قوة لديه بقيادة ابنه عبد الله وتوجيهها إلى تربة .

زحـــف الأمـــير عـــبد الله بن الحسين بقواته المجهزة بالمعدات التي استولى عليها من الجيش العثماني بعد سقوط المدينة المنورة واحتل تربة .

قام الملك عبد العزيز بإرسال قوة من الإخوان لتنضم إلى قوة خالد بن لـــؤي ، وجهـــز قوة كبيرة تحرك بها من الرياض إلى تربة . وتربة تقع إلى جنوب شرق جبل حضن الذي يعتبر الحد الفاصل بين الحجاز ونجد ، وتتمتع بأهمية استراتيجية حيث تعتبر بوابة الطائف من جهة نجد ، وحصن الطائف مـــن جهـــة الحجاز . وكان قادة الملك عبد العزيز قد أحاطوا بتفاصيل وضع قـــوات الشـــريف ، كما كانوا ملمين بطبيعة الأرض . وقاموا بهجوم خاطف وقضـــوا على المفارز الواقعة على طريق التقدم واستأنفوا التقدم إلى معسكر الشريف بن عبد الله وفتكوا بالقوة الموجودة به . وقامت قوة أخرى من خلال محـــور الـــتقدم على القوة المتمركزة على التلال شمالاً وشرق تربة بالهجوم المباغـــت ، ولـــم يمكنوا هذه القوة من استخدام مدافعهم ، وقامت قوة الخيالة بتطويقهم . وزاد من هول الكارثة في قوات الشريف الشلل الذي أصاب القيادة وأفقدهـــا السيطرة على الموقف منذ بداية المعركة بسبب عنف الصدمة التي أحدثتها المفاجأة . كما أن غموض الموقف وضراوة القتال جعلا قوة الخصم تطلق النيران بطريقة عشوائية مما ترتب عليه أن قتل بعضهم بعضًا .

وما إن انفلق الصباح حتى كان مصير المعركة قد حسم لصالح الملك عبد العزيز وحقق نصرًا تعبويًا واستراتيجيًا ، وكان أروع الانتصارات العسكرية تخطيطًا وتنفيذًا . لقد حقق الكثير من النتائج الاستراتيجية في هذه المعركة وأهمها أنه ظهر كأقوى حاكم في الجزيرة العربية ، وجعلت هذه المعركة من قوته العسكرية في نظر خصومه قوة لا تقهر . وإن ما حدث في معركة تربة من إبادة لقوات الشريف تحت تأثير الحماس الذي ولده عنف القتال مما تسبب في إزهاق أرواح آلاف الرجال دون أن يكون لذلك تأثير على تقرير مصير المعركة . يعود إلى عدم قيادة الملك عبد العزيز المباشرة لهذه المعركة مما يعفيه من مسئولية ما قامت به قواته . وكذا حقد القبائل القاطنة حول تربة والخرمة للشريف وتأديبه لهم بسبب انتشار الدعوة السلفية بينهم ، وإحساسهم بحاجة الأراضي الحجازية إلى ضرورة نبذ البدع ونشر الأمن والسلام في ربوع البلاد .

ز- معركة حائل :

تقع مدينة حائل بين جبلي أجا وسلمى وعلى أرض منبسطة ، وتسكنها قبيلة شمر التي تعتبر بطنًا من بطون طي ، ويعتمدون في أسلوب حياتهم على الزراعة والرعي . فبعد مقتل عبد العزيز بن متعب بن الرشيد في معركة روضة مهنا تولى الإدارة ابنه متعب ، وكان نفوذه لا يتجاوز منطقة حائل وقراها . ولم يدم طويلاً في الحكم حيث اغتيل هو وأخوه على يد حمود العبيد الرشيد ، ولم ينج من القتل من أبناء عبد العزيز بن الرشيد إلا سعود حيث حماه أخواله السبهان ، وبواسطتهم انتزع الإمارة من ابن عبيد . ونتيجة لذلك

بـدأت سلسـة من الاغتيالات بين أفراد الأسرة الرشيدية أوجدت ردود فعل متشـائمة لدى سكان حائل ، وأدت إلى ضعف الإمارة وجعلت طريقها ممهدًا إلى الزوال .

أما عن الموقف العام للعالم العربي أثناء الحروب العالمية الأولى فقد بـدأ الحلفـاء يرسـمون الخطط لوراثة تركيا في الأقاليم التي لها نفوذ عليها وأوهمت بريطانيا العرب بأنها سوف تساعد الثورة العربية ضد تركيا ومن ثم الاعتراف باستقلال العرب .

ثار العرب ضد تركيا ، وأعلن الحسين بن علي نفسه ملكًا ، وقاد ابنه فيصـل جيشًـا إلـى العقبة وأخذ في إثارة العرب ضد الأتراك ، مما ساعد الإنجلـيز من دخول القدس بمساعدة عرب فلسطين وتقهقر الترك من الشام . ولمـا بـدأت بـوادر النصـر للحلفـاء قـاموا فـي الخفـاء بتوقيع اتفاقية (سـايكس – بـيكو) سـرًا والتي تقتسم فيها فرنسا وإنجلترا أملاك الدولة العثمانية بينهما[1] .

فـبعد الحـرب العالمـية الأولـى أصبحت مصر والعراق وفلسطين والأردن وأقطـار الخليج العربي خاضعة للنفوذ البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي .

أمـا الجزيرة العربية فقسمت إلى أقسام مستقلة حيث يستقل الشريف حسين بن علي بملك الحجاز ، وعبد العزيز بن آل سعود سلطانًا على نجد ،

---

(١) توحـيد المملكـة العربية السعودية ، محمد المانع ، ص٥٢ – ٧٧ . تاريخ نجد وملحقاتها ، أمين الرويحي ، ص٢٤٨ .

وابـــن الرشيد على بلاد شمر ، والإدريسي على عسير ، والإمام يحيى على اليمن .

وكـــان لهذا الإجراءات من دول الحلفاء أثرها على الصراعات داخل الجزيـــرة العربـــية . وكـــان الملك عبد العزيز قد أظهر براعة في مواجهة تطلعـــات بريطانيا مستغلاً كل مواهبه في إبعاد نفوذها على نجد مصممًا على تصفية كل نجد وإنهاء إمارة آل رشيد وضمها إلى سلطنته . أما ابن رشيد فقد ظـــل إلـــى جانب الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى ، وقد أمدوه بالسلاح وشجعوه في قتال الملك عبد العزيز فكانت معركة (جراب) ، ولم تكن ذات وزن واستمر الهدوء بين الطرفين في هدنة غير معلنة . أما الملك عبد العزيز فبعد أن بسط نفوذه وأصبح لديه من القوة مما يجعله مطمئنًا إلى القضاء على آل الرشـــيد . وبمـــا وهبه الله من صفات القيادة والنظرة الاستراتيجية الثاقبة للأمـــور ، والحنكة السياسية والدهاء والدراية العسكرية . كل ذلك مكنه من التوجه إلى حائل والاستيلاء عليها بعد أن عرف أن الوضع هناك يساعد على تحقيق ذلك الغرض .

ومما زاد في تصميمه ظهور مستجدات مهمة في العراق بتعيين فيصل ابـــن الحسين ملكًا عليها ، وعبد الله بن الحسين أميرًا على الأردن . وقد قدر الملك عبد العزيز خطورة الأمر في ضوء هذه المستجدات لا سيما وأنه إذا تم التعاون بين حائل والعراق والأردن ، فسيهدد خططه الرامية إلى بسط نفوذه على نجد كلها فجعل عامل الوقت مهمًا لتحقيق هدف إستراتيجيته .

وبعد أن نفذ صبر الملك عبد العزيز من بقاء إمارة حائل على عدائها له قرر الموقف بالتحرك إلى منطقة القصيم على رأس قوة كبيرة وقرر تقسيم قواتـــه إلى نسقين واحتياطي عام . وكان النسق الأول ينقسم إلى قسمين قسم بقـــيادة ابـــنه سعود ، والقسم الثاني بقيادة أخيه محمد ، والنسق الثاني بقيادة الملك عبد العزيز ويتشكل من القوة الرئيسة ، والاحتياطي العام بقيادة فيصل الدويش .

فالنسق الأول نجح في تثبيت قوة شمر وتطويق وحصار حائل ، وأمر الملـــك عـــبد العزيز الاحتياطي العام بالتوجه إلى حائل والاتصال بدفاعاتها والتمهـــيد لقيام القوات الرئيسية بقيادته للهجوم عليها . لقد عرض آل الرشيد الصلح بالشروط التي يضعها الملك عبد العزيز إلا أنه لم يوافق على ذلك .

واصـــلت قوات الملك عبد العزيز تقدمها إلى حائل وفرضت حصارًا دقـــيقًا عليها حتى أعلنت استسلامها ، وانتهى حكم آل الرشيد نهائيًا . وبدأت بوادر الأمن ترخي سدولها على مدينة حائل ، وعامل الملك عبد العزيز أسرة آل الرشـــيد معاملـــة حسنة وصاهرهم وعفا عما بدر منهم ، وهي صفة من صـــفات الفروســـية التي يتمتع بها الملك عبد العزيز في حروبه (العفو عند المقدرة)[1] .

حـــ- معركة عسير :

ارتـــبط إقليم عسير بالحكم السعودي بروابط التأييد منذ نشوء الدعوة

---

(١) مـــن شيم العرب ، فهد المارك ، جـــ٤ ص١٧٥ . شبه الجزيرة لخير الدين الزركلي ، جـــ١ ص٢٧٤ .

السلفية لأنها جاءت من المنبع الصافي الخالي من البدع والخرافات ، وسرعان ما تحول التأثير الديني إلى نفوذ سياسي لصالح الحكم السعودي . واصلت عسير تأييدها للدولة السعودية الأولى والثانية وإمدادها بالموارد المختلفة لمواجهة مناوئيها ، وهذا ما يدل على عمق الروابط الروحية والسياسية بين الإقليمين . وبعد احتلال تركيا لعسير وقتل أميرهم استخدموا أسرته في أعمال المتصرفية يقومون باختيار واحد منهم إلى أن ولي أميرهم ، وقد نجح في الإستقلال بعسير نتيجة لظروف الدولة العثمانية . وكان فيه بعض القسوة على رعيته مما دفع البعض منهم إلى الاتصال بالملك عبد العزيز يشكون إليه قسوة أميرهم . وحاول الملك عبد العزيز التدخل بالحسنى إلا أن أميرهم اعتبر ذلك تدخلاً في شؤونه الداخلية مما دفع الملك عبد العزيز نتيجة ذلك إلى الدخول معه في صراع مسلح .

ونظرًا لأهمية الإقليم الواقع سياسيًا وجغرافيًا بين الحجاز واليمن ، ولأهمية توفير قوة كبيرة كافية لاستئصال شأفة أميرهم وإرهاب حلفائهم ، فقد تم حشد عشرة آلاف مقاتل بقيادة ابنه فيصل بن عبد العزيز . فبعد أن جهز فيصل جيشه ونظمه للقتال ، وأثناء تحركه بلغه أن أفراد بعض القبائل قد قاموا بغارة على بيشة ، فوجه قوة خفيفة الحركة وتمكنت من القضاء عليها في عملية اتسمت بالمفاجأة والحزم مما نشر الذعر والهلع في أنحاء المنطقة .

وعندما شعر الأمير أن توازن القوى ليس في مصلحته استفاد من طبيعة الأرض التي لم تساعد قوات الأمير فيصل على إحكام الخناق عليه . واقتنع الأمير فيصل بضرورة اتباع أسلوب قتال يتناسب مع طبيعة الأرض ،

وطريقة القتال التي انتهاجها هي تجنبه الدخول في صدام مباشر . فشكل قوة قتال خفيفة الحركة تقوم بمطاردته ، وقد تمكنت تلك القوة من اكتساح القرى على طريق تقدمها وسقطت أبها[1] .

ط- معارك الحجاز :

نجـح الملـك عبد العزيز في الظهور على مسرح الأحداث وتأسيس الدولة السعودية الثالثة ، بعد أن دخل في صراع ديني وسياسي وعسكري مع حاكم الحجاز الشريف حسين بن علي ، انتهى باستعادة تربة والخرمة . وبعد انـتهاء الحـرب العالمـية الأولى كان الملك عبد العزيز قد حقق كل ما هو مخطط من مراحل نضاله من أجل تحقيق هدف إستراتيجيته . وكان فيما حققه مـن انتصـارات سياسية وعسكرية في الوقت الذي أصبح فيه الحاكم الوحيد لـنجد كلهـا . ثم اتبعها بأن مد سلطانه على الإحساء والقصيم وحائل وتربة والخرمة ، ولم يعد أمامه إلا الحجاز . وقد رفض الشريف الحسين الاستجابة للمحاولات التي بذلت من الملك عبد العزيز لتحديد الحدود بين نجد والحجاز . واتخـذ الشـريف قرارًا خطيرًا بمنعه أهل نجد من الحج ، وزيادة على ذلك أصـر علـى اعتـبار أمـراء الجزيـرة العربية تابعين له بمن فيهم الملك عبد العزيز .

تدخلـت الحكومـة البريطانية في محاولة لثني الشريف عن موقفه ، ودعـت جميع الأطراف إلى مؤتمر يعقد في الكويت لبحث المشاكل بالطرق الدبلوماسـية ، ولكن الشريف لم يرسل مندوبه لحضور المؤتمر . استمر منع

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ، ص٩٦ – ٩٩ .

أهـــل نجد من أداء فريضة الحج ، وتعطيله ركنًا من أركان الإسلام ، فأفتى العلماء بعدم جواز منع المسلمين من الحج وفرضوا عليه اتخاذ العمل السياسي والعسكري المناسب .

فبعد التأييد الذي حصل عليه من العلماء وبعد دراسته لهذا الموضوع مـــن جميع جوانبه وتأكده من أن الشريف الحسين رفض أي تحالف أو تفاهم معـــه لعدم إدراكه أن الأراضي المقدسة ملك للمسلمين ، وكذلك مغالاته في معـــاداة الدعـــوة الســـلفية . وبما وهبه الله من فطنة وبعد النظر ، وحرصه للوصـــول إلـــى هدف إستراتيجيته الذي لا يتحقق إلا باستخدام الإستراتيجية السياســـية ، وإلا فـــاللجوء إلـــى استخدام الإستراتيجية العسكرية . قام الملك عبد العزيز بمناورة سياسية بارعه تدل على إدراكه للأمور بأن بعث برسائل إلى أقطار العالم الإسلامي ضمنها موقف الشريف حسين من القضايا السياسية والدينـــية تمهيدًا للغزو وضمانًا لعدم حدوث أي ردود فعل ، وذلك للحساسية الخاصـــة للحرميـــن الشريفين . ونظرًا لقيام حكومتين هاشميتين في العراق والأردن تناصران الشريف ، وقد أدرك الملك عبد العزيز أن ذلك يضيق عليه الخـــناق إذا لم يتخذ زمام المبادرة بالقيام بتحركات عسكرية تؤدي إلى غزو الحجـــاز ذي الأهمية الإستراتيجية من النواحي الدينية والسياسية والعسكرية والجغرافية .

فبعد أن هيأ الملك عبد العزيز لهذه المعركة كل أسباب النجاح إقليميًا وعالمـــيًا ودينيًا وسياسيًا وإعلاميًا وعسكريًا ، وضع خطته بأن تتحرك قواته مـــن تربة ثم الهجوم على الطائف في عملية مفاجئة . وفي الوقت نفسه حشد قـــوة كبـــيرة للتحرك بها إلى الحجاز لاستغلال النجاح بالتقدم إلى مكة وجدة

والمدينة المنورة عند الأمر . بدأ الهجوم على الطائف وكان صمود قوات الشريف قويًا إلا أنه تم اقتحام الطائف وفتحها . ثم استمروا في مطاردة قوات الشريف حتى جبل الهدا مكتفين بما حققوه من انتصار لتبدأ المرحلة الثانية بالاستعداد لاستعادة مكة المكرمة[1] .

أما عن النتائج الإستراتيجية التي حققها الملك عبد العزيز من فتح الطائف فهو تحقيقه نصرًا إعلاميًا ومعنويًا على المستويين المحلي والدولي . كما أقنعت الدول الأجنبية التي أعلنت في السابق وقوفها على الحياد ولم تقم بأي ردود فعل تجاهه مما شجعه لتنفيذ مخططه للاستعادة كل أراضي الحجاز . وأيضًا تحقق له انهيار سلطة الشريف حسين ومطالبته بالتنازل لابنه ، وذلك نتيجة إحداث ثغرة في جبهة الشريف مما ساعد على استعادة مكة وبقية الأراضي الحجازية .

لقد كان لنجاح قوات الملك عبد العزيز في فتح الطائف دوي في الساحات المحلية والإقليمية والدولية ، وأظهر أن قوات الشريف حسين أعجز من أن تقف في وجه قواته . وسرعان ما عقد كبار رجال مكة اجتماعًا انتهى بمطالبة الشريف حسين بالتنازل لابنه علي ، وتحت الضغط اضطر إلى التنازل عن الملك لولده اعتقاداً من أهل الحجاز أن الصراع القائم بين نجد والحجاز لأسباب شخصية وأن تنازل الحسين سيضع حدًا لمطامع الملك عبد العزيز . وكانوا يجهلون أن الملك عبد العزيز ليس بالذي يحد من

---

(١) صقر الجزيرة العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـ٤ ص٦٨١ وص٨٢١ . الوجيز في سير الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، ص ٨٤ – ١٠٥ .

طموحاتـــه مـــثل ذلك أو يجعله يحيد عن الهدف الاستراتيجي الذي تحركت جيوشه لتحقيقه .

أدرك الشـــريف علـــي عـــدم إمكانية الدفاع عن مكة المكرمة بالقوة المـــتوفرة لديه ، وحينما بلغه قرب وصول قوات الملك عبد العزيز إلى مكة غـــادر إلـــى جده ، وجعل مكة مفتوحة لدخول قوات الملك عبد العزيز دون مقاومة . دخل الملك عبد العزيز إلى مكة دخول الفاتحين وتمت مبايعته ملكًا على الحجاز وسلطانًا على نجد .

وإن أهـــم النتائج الإستراتيجية التي تحققت هو إدراك الملك القائد عبد العزيـــز لأهمـــية مكـــة المكرمة قبلة العالم الإسلامي ، فقد بادر إلى مغادرة الرياض ليكون قريبًا من الميدان الذي تدور فيه الأحداث . وكان لدخوله مكة أكبر الأثر بأن رفعته من مجرد حاكم إقليم داخلي إلى زعيم عالمي يشار إليه بالبـــنان . دخـــل به التاريخ الإسلامي كواحد من كبار الفاتحين وأعطى لبلده عمقًا عربيًا وإسلاميًا ودوليًا كبيرًا .

أدرك الملـــك عبد العزيز بثاقب فكره وفطرته الإستراتيجية السياسية والعســـكرية أهمية تنظيم شؤون مكة المكرمة الداخلية ليؤمن الجبهة الخلفية . فجمع أعيان مكة وحدد لهم برنامجه السياسي الذي يتبناه ، ويطلب منهم العمل علـــى تنفيذه وقال : وما رأى لكم أحسن من أن تلقى مسئوليات الأعمال على عواتقكـــم . لا أريـــد أوهامًـــا وإنمـــا أريد حقائق ، أريد رجالاً بصدق وعلم وإخلاص حتى إذا أشكل علي أمر رجعت إليهم في حله وعملت بمشورتهم ،

وتكون ذمتي سالمة وتكون المسؤولية عليهم . إنني أرجوكم السرعة في العمل لأمتع نفسي برؤية هذه البلاد المطهرة تتمشى فيها الحياة الجديدة .

وهكذا تمكن الملك عبد العزيز بهذه السياسة الحكيمة كسب ولاء أهل مكـــة ممـــا قطع على الملك علي بن الحسين أي أمل في ولائهم له . كما قام الملـــك عـــبد العزيز بتوجيه قواته إلى المدينة المنورة لحصارها وإلى رابغ والليـــث لضمان وصول الإمداد البحري إلى مكة عن طريقها . وأرسل قوة أخـــرى إلـــى ينبع لحصارها ، وقوات أخرى إلى الثغور في الشمال ووادي القـــرى فاستسلمت جميع هذه المدن . وبهذه المناورة العسكرية الواسعة تحقق لـــه هـــدف استراتيجي كبير لتثبيت قبائل تلك النواحي ضماناً لعدم تدخلها في العمليات العسكرية في جده لمصلحة الشريف .

وفشـــلت جميع الوساطات الشخصية التي بذلت بين الملك عبد العزيز والشـــريف علـــي ، وأمر الملك عبد العزيز قواته بالتحرك لمحاصرة جده . وكانـــت القيادة السياسية والعسكرية بيد الملك عبد العزيز الذي رأى أن يكون موجـــودًا فـــي جبهة القتال للأهمية الإستراتيجية والسياسية العسكرية لجده . وكان الملك عبد العزيز يدرك أن الموقفين السياسي والعسكري إلى جانبه لذا لم يكن يتعجل القيام بهجوم مباشر عليها خاصة أن بها هيئات دبلوماسية وقف أعضـــاؤها علـــى الحياد في تلك الحرب . وكانت خطته تتضمن حصار جدة بحيـــث تظل قواته على تماس مع قوات الشريف ، والضغط عليها لدفعها إلى اليأس ثم التسليم .

وبعد استمرار الحال على هذا الوضع رأى قادة الشريف على أنه لا بد من تحريك الوضع على الجبهة بالهجوم على قوات الملك عبد العزيز إلا أن هـذا الهجـوم صد . وأرغمت قوات الشريف على التقهقر إلى داخل المواقع الدفاعـية ، وفشـل الهجوم الذي كان يعلق عليه الشريف الآمال . وقد ترتب على تطور الموقف العسكري تدهور الأوضاع السياسية والعسكرية في جده ، وأصـبح من المؤكد عدم صمود الشريف على أكثر من ذلك . مما دفعه إلى الطلـب من المعتمد البريطاني التوسط لدى الملك عبد العزيز بالموافقة على الشـروط التي حملها إليه من الشريف علي ، ووافق الملك عبد العزيز على تلك الشروط بعد أن أجرى عليها بعض التعديلات[1] .

دخـل الملـك عبد العزيز جدة وتنازل الشريف علي وتم تسليم جده ، وبذلـك انتهت الحرب في ربوع الحجاز ، وبويع الملك عبد العزيز ملكًا على الحجـاز بالإضـافة إلى لقبه سلطانًا لنجد . وبسط أحكام الشريعة الإسلامية وتأييدها وفقًا لما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأن يكون حج بيت الله الحرام عملاً آمنًا يتناسب مع قدسية أداء فريضة من الفرائض . وأن يحقق الاستقرار لمملكته بمقاومة كل المؤثرات الخارجية والداخلية والداعية إلى بث الفـرقة أو الطائفية والتي تؤثر بدورها على الاستقرار السياسي . وأن تتوفر

---

(١) أصـدق البنود في تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود ، عبد الله الزامل ، ص٤٨٠ – ٥٤٠ . عـبد العزيـز آل سـعود وعبقريـته الشخصية الإسلامية ، د/عبد العزيز شرف وزميله ، ص٢٨٥ – ٣٣٩ . أضـواء حـول الاسـتراتيجية العسـكرية للملك عبد العزيز ، العميد ، أ/ح محمد رحمو ص١٢٩ – ١٥٣ .

لمملكـــته الفتـــية السعة الأرضية لكل الاعتبارات لتحقيق العمق الاستراتيجي ونورد في ما يلي موجزًا لفتوحات جلالته يرحمه الله :

١- لقـــد استسلم آخر حصن في الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـــ .

٢- في عام ١٣٢٠هـــ احتل واحة الخرج والأفلاج .

٣- في عام ١٣٢٢هـــ احتل سدير والوشم والقصيم .

٤- في عام ١٣٢٢هـــ احتل عنيزة .

٥- في عام ١٣٣١هـــ احتل بريدة .

٦- في عام ١٣٣٣هـــ احتل الأحساء .

٧- في عام ١٣٣٣هـــ ناوش القبائل الموالية لآل الرشيد .

٨- في عام ١٣٣٧هـــ كانت وقعة تربة وكان النصر حليفه .

٩- فـــي عام ١٣٣٨هـــ دخلت جيوشه عسير ثم عاد إليها في حركة تأديبية عام ١٣٤٠هـــ وبعدها استقرت الأمور .

١٠- في عام ١٣٤٠هـــ انتهت بقايا آل الرشيد .

١١- في ٧ صفر عام ١٣٤٣هـــ سلمت الطائف .

١٢- في ١٧ ربيع الأول عام ١٣٤٤هـــ دخلت القوات السعودية مكة المكرمة .

١٣- في ٧ جمادى الثاني عام ١٣٤٤هـ سلمت جدة .

١٤- في ١٩ جمادى الثاني عام ١٣٤٤هـ سلمت المدينة المنورة[١] .

لقد أسس صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز يرحمه الله هذا الكيان العظيم على هدف قومي هو من أعظم الأهداف . هذا الهدف هو إعلاء كلمة : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، فجعله شعارًا على راية المملكة ، وجعل السيف رمزًا للدفاع عن هذا الهدف . وقد ذكر طيب الله ثراه ذلك بالنص عند تأسيس القوات المسلحة ، فجاء في النص : « إن الهدف من تأسيس هذا الجيش هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله » .

لقد بنى الملك عبد العزيز يرحمه الله استراتيجية المملكة العربية السعودية العسكرية ، مشيدًا هذا الكيان على منظومة استراتيجية متكاملة . أسسها على مساحة أرضية محفوفة بالبحار من طرفيها الشرقي والغربي ، مفتوحة على الأشقاء شمالاً وجنوبًا . تقل فيها عوامل التناقض ، وتزداد فيها عوامل التوافق .

فالمملكة العربية السعودية تتحمل مسئولية من أخطر المسئوليات عبر التاريخ . فهي الكيان الذي يحمي الإسلام في كل مكان ، ويساند الأمة العربية والإسلامية ويشاركها همومها وقضاياها المصيرية . فالله أسأل أن يعز هذا الصرح وأن يعزز من قوته لخدمة راية الإسلام .

---

(١) الاستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ، للمؤلف ، ص١٩٩ - ٢١٠ .

الأمن في عهد الملك عبد العزيز

إن مـــن أهـــم أســـباب الاستقرار السياسي والاجتماعي في أي كيان أو مجـــتمعات داخـــل المملكـــة أو خارجها وعلى مر العصور والأزمان هو اختيار الرؤساء والأعضاء من ذوي الكفايات والعلم والوجاهة والوقار إضافة إلى البطانة الصالحة الدالة على الخير المعينة عليه .

ذلك أنه من الأمور المتعارف عليها أن الإدارة الحكومية لها دور كبير في استتاب الأمن أو اضطرابه .. لأن الحكومة هي الضابط الاجتماعي القوي فـــي المجـــتمعات الحديثة فإذا شابها فساد أيًا كانت طبيعة هذا الفساد أدى إلى التفكك والانحلال والضعف وانتقل ذلك بدوره إلى أفراد المجتمع فيدور الهوى فـــي رؤوس المشاغبين والمحتالين والمتحينين إلى الفرص للانقضاض على الأمـــن فيبرز العصيان وتعدد صور الأجرام . والعكس أيضًا صحيح إذا ما كانـــت الدولة قوية مهابة ، فارضة سيطرتها على الحكم قاهرة لأعدائها بعيدة عـــن التحزب والأحزاب ، لا تعتقل بغير قضاء ولا تحكم إلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ليس من سماتها الفرقة والتطاحن والتخاصم والتناحر كلما كانت كذلك كان عاملاً من عوامل الاستقرار والأمن والنظام .

إذا كانـــت الأشـــياء تتميز بأضدادها وكما يقال إن الضد يظهر حسنه الضـــد ، فـــإن الآمن في بلاد الحجاز ونجد مقارنة بين المرحلة التي سبقت دخـــول الملك عبد العزيز الرياض وبعد دخوله وقيام الدولة السعودية لظهر الفرق جليًا من نهب وسلب وقطع الطريق وجور الظالم من سارق وقاتل وهي عـــرف ســـائد بين القبائل يساندها ضيق الرزق وكساد التجارة وقلة المال ،

إضافة إلى اقتتال القبائل قبل توحيدها . وما هو أدهى وأمر ما يتعلق بالحجاج فقد كانت الأراضي الحجازية مضرب الأمثال في الجرائم ، كان المسافر مثله مثل المقيم لا أمن على ماله ولا على نفسه . كانت الدول ترسل مع رعاياها الحجاج قوات مسلحة لدرء الأخطار عنهم وهذه القوات الخاصة ومعها القوات الحجازية لا تجدي نفعًا في كبح جماح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو المواطنين الحجازيين وقتلهم وسلبهم حتى ظهرت مقولة : (الذاهب إلى الحج مفقود والعائد منه مولود) . وحالة نجد والمنطقة الشرقية هي ثارات وغارات ودماء تسفك لأتفه الأسباب فلا أمن ولا أمان ولكنها الفوضى والعدوان . لأن أسباب حفظ الأمن غير موجودة ، ضعف السلطة الحاكمة وعدم قدرتها على السيطرة وتوفير الطمأنينة للمواطنين وللوافدين والحجاج والزائرين لا حدود شرعية تقام على القتلة وقطاع الطرق ولا قطع يد السارق . هذه صورة سريعة للحالة التي كان عليها الأمن قبل مجيء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

يتوقف استتاب الأمن في أي مجتمع على القانون الذي تطبق أحكامه على أفراد المجتمع ويحكم علاقاتهم على اختلاف أنواعها . ثم هناك عوامل مساعدة تندرج تحت الوعي الشعبي العام ، والانتعاش الاقتصادي ، والاستقرار السياسي ، وسلطة تنفيذية حازمة .

هذه المعاني والأهداف السامية وما لم نتطرق إليه أو نذكره من عوامل العز والكرامة وما يطلق عليه من حقوق الإنسان في أيامنا هذه قد اجتمعت جميعها في الشريعة الإسلامية في روعة وكمال ودقة كأحسن وأحكم ما يكون.

لأن الشـــريعة وضـــعت أصـــولاً كلـــية ومبادئ عامة للتطبيق على مختلف الجماعات والأفراد بغض النظر عن الزمان والمكان .

يقـــول الملك عبد العزيز « إني مسافر إلى مكة لا لأتسلط عليها ، بل لـــرفع الظلم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله ، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها ، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا الشرع ... إن الذي أبغية من هذه الديار أن تعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في الأمور الأصلية ، أما في الأمور الفرعية فاختلاف الأئمة فيها رحمة » .

الاعـــتقاد على أن الشريعة من عند الله سبحانه وتعالى يحمل الأفراد علـــى الطاعـــة التـــي تقـــربهم من الله تعالى . هكذا اتخذت المملكة العربية الســـعودية مع فجر تاريخها هذا الدستور الإلهي الذي يحرص على الأخلاق الفاضـــلة ومـــا هو صالح لكل زمان ومكان ومعترف بعظمته . وإن القانون مهما كان حازمًا وصارمًا في أحكامه لا يكتسب هيبته ولا يبغ غايته المرجوة إلا إذا طـــبق على الجميع قال سيِّد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين : ((وإنِّي والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[1] .

ولما كان الجميع سواء أمام الشريعة فإن تنفيذ الملك عبد العزيز حكم الإعدام في أولئك النفر الثلاثة الذين قتلوا صديقًا لهم في مدة محاكمة لم تتعد ثلاثـــة أيـــام من اكتشاف الجريمة وعلى الرغم من مكانة أهلهم وتعليقهم ستة ساعات صلبًا كان له الأثر الكبير في إشاعة الأمن .

---

(١) صحيح البخاري ، مناقب فاطمة بنت الرسول عليها السلام ، جـ٤ ص٣٦ .

وهل الأمن والاطمئنان إلا حزم في تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء التـــي أقامها الملك عبد العزيز بين مواطنيه . وهل الأمن والاطمئنان إلا أمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو قوام الأمر وملاكه .... وإذا كثر الخبث عم العقـــاب الصـــالح والطالح .... وإذا لم يأخذ الناس بيد الظالم أو شك الله أن يعمهـــم بعقـــاب . وهل الأمن والاطمئنان إلا بتنفيذ الحدود والقصاص والدية والتعذير .

وهل الأمن والاطمئنان لا يتمان إلا بعد القضاء على المنازعات وعلى الخلافـــات القبـــيلة فإن الملك عبد العزيز قضى على جرائم الثأر قضاءًا تامًا وبذلـــك حقـــن دماء كثيرة من المسلمين . وهل الأمن والاطمئنان إلا اهتمام بالتعلـــيم ونشر الثقافة الإسلامية والأخذ بأسباب التحضر والهجرة من البادية إلـــى المدن والمراكز الحضرية ... فكلها ليست خافية على الملك عبد العزيز الذي أولاها عناية فائقة وعرف أنها من أقوى المسببات لتحقيق الأمن والأمن الشـــامل أيضًـــا في ربوع الدولة الفتية . عند إرساء دعائم الأمن والاستقرار توقف عندها الملك عبد العزيز طويلاً لأنها أهم الركائز الأساسية لأي نهضة تنموية وخطوة مهمة على طريق التطور والتقدم والازدهار .

فعمـــل الملـــك عـــبد العزيـــز على تطهير البادية من شرور الغزو « اللصوصـــية » التي كانت شائعة آنذاك عرفًا بين القبائل . وعمد رحمه الله إلى تحضير أكبر عدد ممكن من البدو عن طريق الهجرة وهيأ لسكان الهجر آلات الفلاحة والزراعة وسهل عليهم اقتناءها ، واستكثر من الآبار الارتوازية فـــيها لاســـتيعاب الـــبدو المجاوريـــن لهـــا وانقطاعهم للزراعة ، وأسعفهم بالضروري من القوت عند إصابة الغلة في أراضيهم ببعض الآفات . وجعل

لقبائل البادية سجلاً في ديوانه وسهل لكل منها سبل الاتصال به وبأمراء المقاطعات ، وبث المرشدين والوعاظ في أفراد القبائل يعلمونهم الطاعة لله في إتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، وأحكم رابطة القبيلة بشيوخها واعتبر أفرادها جميعًا جند له وزعماءها مسؤولين عن رعاية الأفراد . وخص الشيوخ بمنح موسمية أو شهرية ثابتة بما يكفي حاجة القبيلة وزعيمها في حال قحط المرعى وجدب المنطقة التي يحلون فيها ، وعمل على توعيتهم بأن الإسلام يحرم ما يسمونه « الغزو » . فلا غزو من هذا النوع بعد اليوم وجعل القبيلة كلها متضامنة متكافلة في المسؤولية عند وقوع أي جريمة فيها أو في ما يجاورها ، فإذا ظهر الجرم كان عليها إظهار المجرم وإن اختفى المجرم عوقبت كلها .

أثناء اجتماع الملك عبد العزيز- رحمه الله مع رؤساء العشائر وقف أحد رؤساء العشائر البارزين وقال في كبرياء : « يا عبد العزيز العرب تقول قطع الخشوم ولا قطع الرسوم » ما يعني بذلك أن سلب الحجاج ونهبهم وفرض (الأتاوات) عليهم عادة جارية توارثوها عن آبائهم وأجدادهم ويعتبرون ذلك رسومًا لمرور القوافل بقراهم وديارهم ، وإنه يهون عليهم قطع أنوفهم ولا يقضي على عاداتهم . فاعتبر الملك عبد العزيز كلام هذا الرجل تحديًا خروجًا وعصيانًا وإصرارًا على ما كان عليه الأمر من نهب وسلب وقتل وقطع للطريق ، فانتهز رحمه الله هذه الفرصة لثبات إصراره وعزمه الأكيد على ما يقول ووضع حد للإخلال بالأمن فأصدر أمره في الحال بإنزال العقوبة الشديدة الرادعه بهذا الرجل وسجنه جزاءًا على هوجه وعظة للآخرين ، ولم يبال بكونه كبير قومه ورئيس عشيرة .

للشـــرطة فـــي الدولة الحديثة وظيفتان أساسيتان : هما المحافظة على الـــنظام والمحافظة على الأمن في الدولة تتطلبان شرطة ذات صبغة نظامية وذات سلطان وقوة وإمكانات تساعد على إثبات الذنب ، وتساعد الحكومة على تنفيذ الأحكام ، وصيانة الأمن العام والراحة والسكنية العامة وحماية الأرواح والممـــتلكات وحفـــظ ســـمعة الدولة وهيبتها بين المواطنين إضافة إلى حفظ ممتلكات الدولة .

إن الانطـــباع السائد لدى كل زائر أو سائح أو حاج أو معتمر أو مقيم أو قادم للعمل أو مدعو أو صحفي هو أن المملكة العربية السعودية تنعم اليوم بصفاء روحي وإن الناس يعيشون عيشة هانئة مطمئنة آمنة ، لا خوف عليها ولا اضطراب ولا تنازع ولا تناحر ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضـــهم ، حتى أصبح الأمن والاستقرار في المملكة مضرب الأمثال في جميع الأوساط الدولية .

مـــن هذه اللمحة عن الأمن في عهد الملك عبد العزيز ... تظهر فيها الجهود الجبارة التي بذلتها حكومة المملكة العربية السعودية على عهد عاهلها العظيم في سبيل إقرار الأمن وتوطيد النظام وتأكيد هيبة الحكم في جميع أنحاء البلاد . وفرض سلطان الشرع الحنيف على جميع المواطنين والمقيمين على أرض المملكـــة . وتوخـــي أسباب الطمأنينة والأمان لأبناء الشعب السعودي ومكافحـــة الجـــريمة ومحاربـــة الرذيلة والحفاظ على الأخلاق والقيم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقطع دابر الخلافات والمنازعات بين القبائل والأفـــراد والقضاء على ظاهرة الأخذ بالثأر ، وتأمين حجاج بيت الله الحرام مـــن القـــتل والســـرقة وأعمـــال النهب والسلب والاحتيال وقطع الطريق ،

وإشاعة الأمن والأمان في الطرق الموصلة إلى جميع مشاعر الحج والزيارة ، وحراسة حدود المملكة وسواحلها وسد ثغورها وموانيها ومرافئها . والضرب بيد من حديد على كل من تحدثه نفسه بالعبث بالأمن أو يحاول تعكير صفوه أو ترويع المواطنين . مما أدى إلى استتاب الأمن واستقرار النظام في جميع أنحاء المملكة وأصبح الناس يعيشون فيها عيشة هادئة مطمئنة ، لا خوف فيها ولا اضطراب ولا تنازع ولا تنافر ولا شغب ولا تظاهرات ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم .

لم يكن أبناء هذا الصرح الشامخ للأمن في المملكة بالأمر السهل الهين ، ولم يحدث دفعة واحدة بل تم على دفعات في إطار من الوحدة والتضامن والتكافل الاجتماعي ، وقد احتاجت عملية البناء هذه إلى وقت طويل واصطدمت بأوضاع ومفاهيم وقيم وأفكار وتقاليد وعادات رسخت في الأذهان أجيالاً عديدة واستقرت في النفوس أزماناً بعيدة واستوحذت على العقول أحقابًا طويلة ، وكانت تطورًا إلى الأحسن والأفضل والأكمل في جميع النواحي دينية وسياسة واقتصادية واجتماعية وفكرية .

لقد أخذ الملك عبد العزيز بما أثبت الزمن إنه كاف لاستقامة الأمور وتقويم الاعوجاج وإصلاح الأشخاص والأشياء إنه « الدستور الإسلامي » ، فدانت له الجزيرة العربية قاصيها ودانيها عن طيب خاطر ووضعت فيه بعد الله رجاءها ، فلا غرو إن كان المواطنون راضين بحكمة العادل ومستبشرين به . وقد رفعت عن ظهورهم وصدورهم مظالم ومغارم كثيرة كانوا يعانون منها في العهود الماضية ، فلا إرهاق ولا أعنات ولا ضرائب فادحة ،

ولا مصادرة أموال ، ولا اعتقال بغير قضاء ، ولا تحكم في أعناق الرجال ، ولا إرهاب ولا تسخير ، وهي نعم جزيلة حمدوا الله عليها .

ولقد حقق الله آية الأمن في البيت العتيق وسائر سبله على أيدي الملك عبد العزيز وبرهن بتطبيق أحكام الشريعة المحمدية على صلاحيتها لكل زمان ومكان . فأقام حدود الله وسنة رسوله ﷺ ، وهذه الحدود بمثابة الحصون التي تقام حول المجتمع كالقلاع المسلحة التي تقام حول المدن . تلك القلاع المسلحة تحفظ البلاد من هجوم الأعداء وتلك الحصون الشرعية تحمي المجتمع من الشرور وتقيه تطرق الفساد فجلد على الخمر ، وجلد ورجم على الزنا ، وحرم الخلوة ومنع الاختلاط ، وقطع يد السارق ، وحرم الربا ، وأوجب الزكاة ، وأمر بالصدقة ، وحقن الدماء . وأخذ من أسباب الحضارة خيرًا كثيرًا في نشر التعليم ، وإجراء الصدقات ، وفض الخصومات ، وإيواء اليتامى وتعليمهم ، ونشر الإخاء والمساواة .

إن البناء الضخم الذي وضع المؤسس لبناته في سبيل نشر الأمن بالمملكة ، وحفظ النظام بها وكف الأيدي عن السرقة ، وكبح جماح الثوار بالحدود ورهبة السلطان لا يزال حتى يومنا هذا يعلو ويعلو ويمضي[1] .

وعيت على الدنيا ، و« الأمن » حاله عادية أعيشها ، ويعيشها الناس في وطني بصورة طبيعية . الكل يعيشون في جو من الأمن والأمان والطمأنينة ،

---

(١) الأمن في عهد المؤسس الباني الملك عبد العزيز ، مقال لصاحب السمو الملكي اللواء الطيار الركن /تركي بن ناصر بن عبد العزيز . مجلة الصقور تصدرها كلية الملك فيصل الجوية ، العدد الحادي والأربعون شعبان ١٤١٩هـ ، ص١٢ – ١٥ .

دون أن يخطـــر لهم أن هناك نقيضًا خارج الحدود ، لما هم عليه ، يفتقد فيه الأمن ويفقد الأمان ويحل محلها الروع والخوف .

وحين تفتحت مداركي ، وأقبلت على المطالعة أقرأ بنهم كل ما يصل إلـــى يدي من كتب وصحف ، كنت أدهش إذ يأتيني أخبار قوم – أي قوم – يفـــتقدون الأمن ، ويعيشون في قلق ، ويعايشون الرعب والفزع ... فأتساءل لماذا؟ ....

فقـــد كنت أظن أن الأمن حالة طبيعية ، ينشأ الإنسان في أي بلد تحت أفيائها ، فلا يعكر هذا الأمن شيء ، لأن «الدولة» جاهزة دومًا للحفاظ عليه ، والضـــرب على أيدي المفسدين والعابثين . وحين بدأت أسافر خارج البلاد ، بدأت أفهم – أكثر فأكثر – معنى الأمن الذي نعيشه .

وعرفت بعد أن شاهدت وسافرت وجربت ، أن وطني هو الوحيد الذي يتصف بصفة « الأمن » . وإنه إذا كان يعتبر « حالة عادية » بالنسبة لنا ، فهو لم ينشأ من فراغ ، ولم يأت بشكل عفوي ، وإنما تقف وراءه منظومة متكاملة من « الفكر » و« الممارسة » ... أولتها الدولة أقصى اهتمامها ، وجعلتها على رأس ممارستها .... وأن هذه المنظومة قد بدأت بعد أن هيأ الله لجلالة الملك عـــبد العزيز طيب الله ثراه ، نصره بتأسيس المملكة العربية السعودية ، التي قامت على الإسلام ، وللإسلام ، والتي كانت أول دولة إسلامية طبقت شريعة الله فـــي كـــل أمورهـــا ، فكان الأمن والأمان من أولى ثمار هذا التطبيق .

وكان أن عرفت في كل أنحاء الدنيا بتلك الصفة ، وأصبحت تجربتها الأمنية تجربة رائدة تتمناها وتتوق إليها أرقى دول العالم[١] .

قبل أن يبدأ الملك عبد العزيز مسيرته لتوحيد المملكة ، كان الأمن هو أشد ما تفتقده الجزيرة العربية . كان الناس يعيشون خوفًا مستمرًا فلم يكن هناك نظام سيحكم الناس ويحقق الأمان . ولذا كانت الجريمة هي سيدة الساحة ، والعتاة من الساطين وقطاع الطرق هم سادة الجزيرة . وكانت صفات مثل : العدل والإنصاف وضمان الحقوق غائبة تمامًا عن قاموس التعامل اللفظي والفعلي بين السكان . وجاء الملك عبد العزيز وهو مدرك تمامًا لهذه الحقيقة فكانت من أول اهتماماته انطلاقًا من منهجه الذي أسسه على أحكام الشريعة الإسلامية[٢] .

يخاطب الشيخ «سلمان بن حمد آل خليفه » الملك عبد العزيز معددًا مآثره موليًا الأمن في المملكة اهتمامًا خاصًا إذ أصبح مضرب الأمثال فيقول : « وجلالتكم جديرون بكل تجلة واحترام ، كيف لا وأنتم تديرون مملكتكم الواسعة بحسن السياسة والتدبير ، وقد نشرتم عليها ألوية العدالة والنظام ، ومددتم فيها بساط الأمان والاطمئنان والعطف والإحسان . ولعمري إن الأمان العام في جميع المملكة العربية السعودية لهو مضرب المثل وهو منقطع النظير ، ولا يكاد يوجد له في العالم شبيه أو مثيل »[٣] .

---

(١) الأمن الذي نعيشه ، حسن عبد الحي قزاز ، جـ١ ص١٣ – ١٦ .

(٢) الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، د/ساعد العرابي الحارثي ، ص٢٦٨ – ٢٨١ .

(٣) علاقة الملك عبد العزيز بالبحرين والكويت ، عبد اللطيف كانو ، الرياض ١٤٠٦هـ .

أمـــا الكاتـــب والمفكر «عباس محمود العقاد » فقد زار الحجاز ورأى وتأثـــر بـــالواقع الأمنـــي فـــي المملكة وقال : أما الأمن في المملكة العربية السعودية ، فقد رأينا في الطريق تلك القلاع التي أقامتها الدولة العثمانية على مسافات متقاربة ، بين جدة ومكة ، لحراسة الحجاج والمسافرين . وما كانت مـــع ذلـــك تمـــنع السطو أو تؤمن الناس على الحياة والمال . رأيناها بأعيننا مـــتهدمة مخـــربة اليوم ، لأن اليوم في غنى عن حراستها . وقال لنا صاحب السعادة وزير مصر المفوض في المملكة العربية السعودية وقد مررنا ببعض القـــلاع إن الســـيدة الفاضلة الكريمة عقيلته رغبت في زيارة قبر الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، وهو مشغول عن مصاحبتهما بما لديه من أعمال . ولكنه لم ير داعيًا لانتظار الفراغ من أعماله ومصاحبتهما في هذه الرحلة الطويلة من جدة إلى المدينة ، لأنه مطمئن إلى حالة الأمن في جميع أرجاء البلاد . فذهبت الســـيدة وعـــادت آمنة مطمئنة ، وأقدمت وحدها على تلك الرحلة التي كانت تهيبها جميع القوافل بغير حرس ولا سلاح ، وبعد أداء الإتاوة لهذا ولذاك من قطاع الطرق[1] .

ويقول الدكتور « محمد نصر مهنا » عن عبد العزيز واهتمامه بالأمن فجعله من أول بديهيات الدولة ، ولم يتهاون في إقامة الحد على كل من يخل بالأمـــن فانتفى وقوع الجريمة فيقول : (إن الرجل يعتبر ظاهرة فريدة ، كان أكثر من ملك وأكثر من مؤسس دولة ، وأكثر من مصلح وإمام . جعل الأمن والاستقرار وتأمينهما من أول بديهيات الدولة . صحيح أنه كان حازمًا ، غير متســـامح فـــي إقامـــة الحدود ، أو متهاون مع كل من يخل بالأمن والنظام ،

---

(١) الراديو المصري ، العدد ٥٧٤ ، ربيع الثاني ١٣٦٥هـ يناير ١٩٤٦م .

وقــد أدى ذلك إلى انتفاء وقوع الجريمة . كما نجح في استمرارية دولة قوية مــن بعــده تســير على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الشريفة والتمسك بتعاليم وأحكام الدين الإسلامي القويم والتقاليد العربية الأصلية)[1] .

(١) عبد العزيز بن سعود ، دراسة في الزعامة ، بحث لعبد العزيز نوار مصر ١٤٠٧هـ .

إرساء قواعد الحكم وتنظيم جهاز الدولة

فبحنكة صقر الجزيرة الملك عبد العزيز « رحمه الله » السياسية ودرايته العسكرية بعد عون الله ، وما وهبه الله من صفات قيادية ظهرت جليًا في خططه الاستراتيجية السياسية والعسكرية وشجاعته في تنفيذها – حقق الله له ما كان يتطلع إليه . ولما استقرت الأمور وتولى سلطات الحكم وزمامه أقبل على تنظيم جهاز الدولة والحياة الاجتماعية وتوجيهها . ففي « ٢٥ » جمادى الآخرة سنة « ١٣٤٤هـ » أعلنت البيعة العامة ، وأصبح الإمام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها . إلا أن الملك عبد العزيز وجد أن الوضع بحاجة إلى توحيد اسم مملكته فلا يبقى هناك ما اسمه « الحجاز ونجد » وراح مستشاروه وأفراد الأسرة المالكة وبعض زعماء العرب يدرسون الناحية المهمة ، فوجدوا أن الوحدة يجب أن تكون عامة شاملة في كل شيء .

كما وجدوا أن نظام الحكم في البلاد هو « ملكي شرعي « فاشتقوا لفظ « المملكة » منه ، ثم وجدوا أن الأمة عربية صميمة في تاريخها الحافل المجيد ولغتها الشريفة التي هي لغة القرآن الكريم المجيد فوصفوها بأنها « عربية » ووجدوا أن الواجب والشرف يقضيان بتخليد ذلك البطل الذي نهض بأمته واستعاد ملكها وأنشأ هذه الدولة الفتية فكان أمامهم « الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود » وحده ذلك البطل الفذ الذي صنع هذا التاريخ الحديث الضخم لأمته ولبلاده فوصفوا المملكة بأنها « سعودية » . وعلى هذا الأساس أصبح اسمها « المملكة العربية السعودية » وأصدر جلالته رحمه الله مرسومًا

ملكـيًا أمر فيه بتحويل اسم المملكة إلى الاسم الجديد ابتداءًا من يوم الخميس « ٢١ » جمادى الأولى سنة « ١٣٥١هـ » .

والمتحدث عن تاريخ المملكة العربية السعودية أول ما ينبغي أن يتحدث عنه هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هذه الدولة . فالمملكة العربية السعودية في طفولتها وفي مختلف أطوارها إنما هي تاريخ لحياة الملك عبد العزيز يرحمه الله . فهي قبل أن تكون تاريخًا تعتبر درسًا يتلقى منه الإنسان كل معاني العظمة والرفعة ، يتعلم كيف يكون الصبر والكفاح وقوة الإيمان والعزيمة . فأينما وليت في حياته رأيت ما يملأ النفس بالإعظام والتبجيل ، قلب كبير ، وعقل راجح ، ونفس مؤمنة . هذه المزايا مجتمعة هي التي استطاعت أن تحيل ذلك التفكك السائد في الجزيرة العربية إلى مملكة شامخة البنيان ثابتة الجوانب .

ففي تاريخنا الحديث سجلت الجزيرة العربية أحداثًا اقترنت بالبطولات ، وحفلت بالإصلاحات فدفعت اسمها من أحضان العزلة والانطواء إلى ذرى المجد والارتقاء . وكل ذلك بفضل الله تعالى ثم ما وهب ابنًا من أبنائها الأوفياء من قوة الحق ، ورجاحة العقل ، وصبر على الشدائد ، وشجاعة عن اللقاء ، ومضاء إلى الغاية ، وإصرار على النصر ، ذلك هو « الملك عبد العزيز بن عب الرحمن آل سعود » رحمه الله . الذي أخذ بيدها من مهاوي الجهالة بعد كبوة دامت ردحًا من الزمن كادت تنسي فيه كل خصال الخير التي عرفت عنها وتفقد كل مقومات العروبة والإسلام التي تميزت بها ، فقد قطعت الثارات أوصالها ، ومزقتها المحن والحروب المتواصلة أشلاء متناثرة ، وألهتها الجهلة والخرافات عن تعاليم دينها .

فحقــق الوحدة التي فقدتها وجمع الشمل الذي كانت تفتقر إليه ، وأعاد الوجه المشــرق المنير للشريعة الإسلامية فاستتب الأمن وانتشر الرخاء . كل ذلك تحت راية التوحيد وهي : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » التي اتخذها لواءًا لــه فأعــزه الله بهــا وأيــده بنصره وقد جعلها يرحمه الله علمًا على مملكته الفتية[1].

(١) الاستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ، ص ٢١٣ – ٢١٤ .